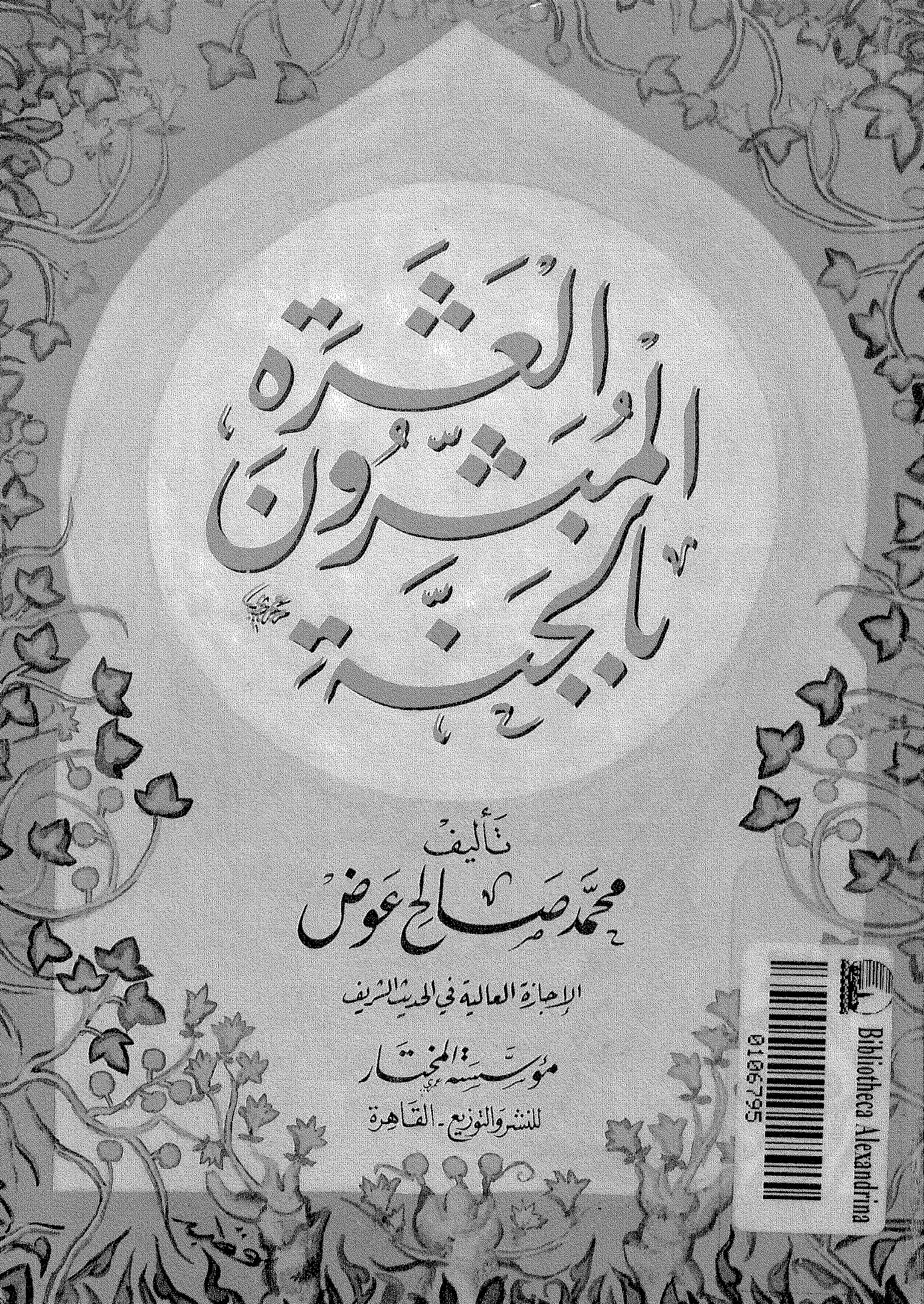

العشرة المبشرون بالجنة
رضي الله عنهم
تأليف
محمد صالح عوض
الإجازة العالية في الحديث الشريف
مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع - القاهرة

العشرة المبشرون بالجنة

تأليف

محمد صالح عوض

الإجازة العالية في الحديث الشريف

مؤسسة المختار

للنشر والتوزيع - القاهرة

مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع - القاهرة
٦٥ شارع النزهة - مصر الجديدة
تليفون و فاكس : ٢٩٠١٥٨٣

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

رقم الإيداع : ١٣٩٩٢ لسنة ١٩٩٨
الترقيم الدولى : 977-5283-30-2

الإهداء

□ إلى روح والدى الطاهرة ..

□ إلى والدتى الغالية أمد الله فى عمرها ..

□ إلى أخى الأكبر فضيلة الشيخ رجب محمد صالح الواعظ بالأزهر الشريف .

□ إلى أساتذتي الذين أمدوا لى يد العون والمساعدة ..

□ إلى المربين الفضلاء فى كل زمان .. ومكان .. وميدان .

□ إلى الباحثين عن قدوة .. وإلى المشتاقين إلى مثل أعلى .

□ إلى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أقدم كتابى العشرة المبشرون بالجنة .

المؤلف

محمد محمد صالح عوض

الإجازة العالية فى الحديث الشريف وعلومه

جامعة الأزهر

مصر - المنصورة - بساط - طلخا

ت: ٥٢٤٩٥٦ - ٥٢٤٩٩٦/ ٠٥٠

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .. وبعد فيقول الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] .

إنها لصورة عجيبة حقًا يرسمها القرآن بأسلوبه البديع .. صورة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات ذلك الجيل المختار[2] .

ذلك الجيل المثالى الذى حقق مستوى سامقًا فى الارتقاء الروحى والخلقى فصقلته العبادة وكساه الركوع نورًا وبهاء .. ذلك الجيل الذى خلدته كتب السماء فوصفته التورا ة والإنجيل والقرآن بهذا الوصف الرائع .. ذلك الجيل الموصوف بالخيرية والأفضلية المطلقة على سائر الأجيال[3] كما قال النبى ﷺ (خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم .. ثم الذين يلونهم .. ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)[4] وهذه الخيرية تجعل من جيل الصحابة مُثلاً عُليا للمسلمين فى كل زمان ومكان، فهم يتطلعون إليهم ويعتزون بهم، ويقتدون بأعمالهم، ويسترشدون بسيرهم فلقد صاروا رموزًا شامخة ، وأعلامًا هادية، وقدوات سامقة تتطلع أجيال المسلمين إليهم بكل فخر واعتزاز وتمجيد وتقدير .. وما أحسن وصف ابن مسعود – رضي الله عنه –لأبناء جيله من الصحابة حين قال : (من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، وأقومها هديًا ،

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩ .

(٢) الظلال للشهيد سيد قطب ٦/ ٣٣٣١ .

(٣) السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم ضياء العمرى ٢/ ٦٥٩ .

(٤) الحديث : أخرجه البخارى فى الصحيح كتاب فضائل الصحابة ٦٢ رقم ٣٦٥١ واللفظ له ، مسلم فى الصحيح رقم ٢٥٣٥ .

وأحسنها حالاً قومًا اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ،فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) [1] ا . هـ .

يقول ألكسس كاريل[2]: « وتشعر الجماهير بالألم حين لا تجد أحدًا تعجب به ومن حسن الحظ أن المجتمع لايتكون من الأحياء وحدهم فعظماء الموتى لا يزالون يحيون بيننا !!» ا.هـ .

من هؤلاء العظماء « العشرة المبشرون بالجنة » ، عن عبد الرحمٰن بن عوف - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال :(أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير فى الجنة ، وعبد الرحمٰن بن عوف فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة ، وأبو عبيدة فى الجنة) [3] .

قال الشاعر :

للمصطفى خير صحب نص أنهم ... فى جنة الخلد نصًا زادهم شرفًا
هم طلحة وابن عوف والزبير ... مع أبى عبيدة والسعدان والخلفا[4]

ولقد ثبتت البشارة لجملة من أصحابه ﷺ . كأهل بدر ، والحديبية ، وبلال وعكاشة وغيرهم .. بيد أن هؤلاء العشرة جاءت البشارة لهم جميعًا فى موطن واحد وهو الحديث السابق ذكره.

ولنا أن نتساءل ما الذى تفاضل به هؤلاء حتى بُشروا بالجنة ، وماذا كانت أعمالهم حتى استحقوا البشارة ؟ وهل باستطاعتنا أن نحذو حذوهم فنكون مثلهم ؟

« لقد كانوا بشرًا .. لم يتجردواعن بشريتهم ومشاعرهم وسيماتهم الإنسانية والعواطف البشرية لم تمت فى تلك النفوس ، ولكنها ارتفعت وصفت من الأوشاب ، ثم بقيت لها طبيعتها الحلوة ، ولم تعوق هذه النفوس عن الارتفاع إلى أقصى درجات الكمال المقدر للإنسان[5] .

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكرم ضياء العمرى ٢/ ٦٦٩ .

(٢) ألكسس كاريل : طبيب فرنسى الأصل عاش فى أمريكا وحصل على جائزة نوبل فى العلوم وله كتاب شهير بعنوان « الإنسان ذلك المجهول » .

(٣) الحديث فى صحيح سنن الترمذى برقم ٢٩٤٦ ، وهو فى مسند أحمد برقم ١٦٧٥ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

(٤) المقصود سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد والخلفاء الأربعة أبو بكر ، عمر ، عثمان ، على ، رضى الله عنهم .

(٥) الظلال ٥/ ٢٨٤٤ .

« وكان العلماء قديماً وحديثًا يوجهون النشء إلى النظر فى سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه الغر الميامين ، لينشأوا على حب البطولة والأبطال ، وليتأسوا بخلق أصحاب الشجاعة والمروءة والكرم والصدق والعفاف ، وقد نبّه القرآن الكريم إلى ضرورة تحقيق هذا المنهج فى الاقتداء بالصالحين فقال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[1] ، والإقتداء بالرسول ﷺ شامل لمنهجه فى مطالب الدين والدنيا لأنه لا ينطق عن الهوىٰ .. أما الإقتداء بالصالحين فيكون فى الجانب الذى تميزوا به مما يتطابق مع أحكام الشرع ومقاصده فيستفاد من تطبيقهم ذلك فى حياتهم لتوضيح المعنى وإبراز موضع القدوة »[2] .

وحين عنّ لى الكتابة فى هذا الموضوع - العشرة المبشرون بالجنة - بدَا لى أن الأمر سهلُ .. بَيدْ أننى حينما تهيأت للكتابة وجدت أن الموضوع من الصعوبة بمكان لِمَ له من المهابة والجلال !!

فحين يتعلق الأمر بالحديث عن أصحاب رسول الله ﷺ - وبخاصة الخلفاء الأربعة - فإنه يجب توخى الدقة والحذر حتى لا تَزِلّ القدم !!

وقد ظللت أُقدِمُ قدمًا وأُؤخر أخرى واضعًا نُصب عينى قول النبي ﷺ - (**الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضًا بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم ، فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تبارك وتعالى ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**)[3] . ومن حبى لصحابة رسول الله ﷺ - أقدمت على الكتابة .. ولا أخالنى وفيتُ الموضوع حقه ، فما هى إلا محاولة متواضعة نتعرف فيها سويًا على هذا الجيل الفريد ، نحاول إبراز صفاتهم المميزة ومقوماتهم الخاصة .. فها هم أولاء مُثلاً حية واقعية للجماعة التى يريدها الإسلام فنحن فى حاجة ملحة حقًا للتعرف على هذه الصفوة المختارة - العشرة المبشرون بالجنة - لاسيما ونحن فى زمن قد افتُقدت فيه القدوة !!

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٩٠ .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكرم ضياء العمرى ٢/ ٦٧٧ .

(٣) أحمد فى المسند ٢٠٤٢٨ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناد حسن .

يقول الأستاذ/ محمد العبدة : « عندما يَقِلُّ الرجال يتطلع الناس إلى الماضى ليعيشوا مع أولئك الرجال العظام الـذين أدّوا خدمات جليلة للأمة بحكمتهم ومـواقفهم الشجاعة .. لأن الناس لابد لهم من قدوة » ا. هـ .

وما أجمل أن يكون العشرة المبشرون بالجنة لنا قدوة !

أُولَئِكَ آبَائِى فَجِئْنِى بِمِثْلِهم		إذا جَمَعَتْنا يَا جَـرِيرُ المجامِعُ !

فمن الله وحده أستمد العون على مـا بدأت ، ورحم الله امرئً اطلع على كتابى هذا فوجد خطأً علميًا بـدون قصد فأهداه إلىّ ،وأرشـدنى إليه ودلنى عليـه ، ولا أزعم لنفسى العصمة من الزلل ، ولا الكمال الـذى لا يداخله خلل ، فهـذا هو جهد المقل ، فهـو مهما بلغ جهد بشرى ، وكل كتابات البشر وأقوالهم لا تخلو من النقص والعـور ، وعرضة دائمًا لإعادة النظر ، فكما قال العماد الأصبهانى : (رأيت أنـه لا يكتب إنسان ما كتابـًا فى يومه إلا قال فى غـده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيـد هذا لكان يستحسن ، ولو قـدم هذا لكان أفضل ، ولو تـرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، ودليل على إستعلاء النقص على جميع البشر !) .

أسأل المولى سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وألا يجعل للشيطان فيه حظـًا ولا نصيبًا ، وأن يجعلـه فى ميزان حسنـاتى يوم الـدين .. وآخر دعـوانا أن الحمـد لله رب العالمين .

كتبـه

محمد محمد صالح عوض

الإجازة العالية فى الحديث الشريف وعلومه

جامعة الأزهر

وكان الفراغ من كتابته فى ليلة الإثنين

الموافق ٢٧ ربيع الآخر ١٤١٨ هـ ـ ٢١/٨/١٩٩٧ م

(١)

أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

● اسمه ونسبه ●

هو عبد الله بن أبى قحافة .. عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن ،
بن كعب .. يلتقى مع النبى ﷺ - فى مُرة[1] .

● كان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وكنيته أبو بكـ
ولقبه عتيق - لُقِب به لجمال وجهه وقيل إن رسول الله ﷺ قال أنه عتيق من النار .. ف
عائشة - رضى الله عنها - (أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ فقال له أنت عتيق من الـ
فسمى يومئذ عتيقًا)[2] .

● وقيل : سُمى عتيقًا لعتاقة وجهه - أى حسنه وجماله وقيل : إنه لم يكن فى نسبه شـ
يعاب عليه .

● وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ ولا
الصدق، فعن أنس -رضى الله عنه- قال: (صعد النبى ﷺ أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثـ
وعلى فرجف بهم ، فضربه برجله وقال : أثبت أحد ، فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدين)[3]

قال أبو محجن الثقفى عن تسميته بالصديق :

وسُميت صِديقًا وكل مُهاجرٍ سواك يُسمى باسمه مُنْكَرِ
سبقت إلى الإسلام والله شاهد وكنت جليسًا فى العريش المطهر

ولد أبو بكر بعد مولد النبى ﷺ بسنتين وستة أشهر ، وكانت نشأته بمكة لا يخرج منها
للتجارة[4] .

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - رجلاً أبيضًا ، نحيفًا ، خفيف العارضين ، أجنأ - أى فى ظهـ
إنحناء يسير - لا يستمسك إزارهُ ، معروق الوجه - أى لحم وجهه قليل - غائر العينين ، ناتـ
الجبهة وكان يَخُضّب شيبه بالحناء والكتم[5] .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ٣٣ . (٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٠٤ .
(٣)صحيح البخارى ٣٦٧٥ .
(٤) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ٣/ ٢٠٦ ، وانظر الإصابة ٦/ ١٥٧ .
(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطى ٣٩ ،والكتم نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر .

وصفه السمعانى فقال : « كان أبو بكر رجلاً مُؤلفًا ، ومحبًا سَهلاً ، وكان تاجرًا ميسور ذا خلق كريم ، وصاحب معروف ، وكانوا يألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته »[1] .

● إسلامه ●

كان أبو بكر – رضى الله عنه – من رؤساء قريش فى الجاهلية ، محبوبًا فيهم، فلما جاء الإسلام سبق إليه . عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : (قال أبو بكر : ألست أحق الناس بها ؟ – يقصد الخلافة – ألست أول من أسلم ؟ ألست صاحب كذا ؟ ألست صاحب كذا ؟)[2].

سأل الشعبى ابن عباس – رضى الله عنهما- : أىُ الناس كان أول إسلامًا ؟

قال أبو بكر الصديق : ألم تسمع قول حسان بن ثابت حين قال فى حق أبى بكر :

إذا تذكرت شجوًا من أخى ثقة   فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية وأتقاها وأعدلها   إلا النبى ، وأوفاها بما حملا

والثانى التالى المحمود مشهده   وأول الناس صدّق الرسلا[3]

● وعن عبد الرحمن بن همام قال : سمعت عمارة يقول : (رأيت رسول الله ومامعه إلا خمسة عبيد وامرأتان وأبو بكر)[4] .

قال الحافظ بن حجر فى الفتح (٧/ ٢٩) : (.....وفى الحديث أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقًا) ا. هـ .

« أسلم أبو بكر ... وحينئذ كان الغيب يجُرى أعظم عملية تفجير تاريخى . كان كل ما للإسلام من مستقبل وحضارة ، وإتساع يغادر تلك اللحظة ويأخذ كل شىء مكانه على أرض الغد الطويل .. أجل ، وحينئذ ، وفى تلك اللحظة التى شهدت يدًا تصافح، وقلبًا يبايع ، كانت نفس هذه اللحظة ، تتفجر وتخرج خبئها المهول ، كانت تلد زمانًا بأسره .. بأجياله .. بمعجزاته وانتصاراته ، لأن صوت اليقين فى قلبيهما كان أعلى من كل صوت عداه.. وهكذا

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٥٧ .

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٨٩٨ .

(٣) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ٣/ ٢٠٩ .

(٤) صحيح البخارى ٣٣٦٠.

أسلم أبو بكر فى هدوء ، ويقين ، وقوة .. وسيظل حاملاً رايته فى هدوء ، ويقين ، وقوة .. أسلم الرجل الذى اصطفاه الله ليكون لرسوله الصديق ، وثانى إثنين ، وغدًا يكون الخليفة .. أسلم الرجل الذى وإن لم يكن نبيًا ، إلا أنه سيكمل دور النبى .. أسلم ولم يتلعثم عند السانحة الأولى ، بل كان كأنه على موعد من الدين الجديد ، فسارع إليه مساعة الظامىء المشتاق(1) .

• من مناقبه •

وأما عن مناقب الصديق فهى أشهر من أن تذكر ، وأكبر من أن تحصر . فقد اتفقت الأمة على أنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ . فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : (كنا نخير بين الناس فى زمن النبى فنخير أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان - رضى الله عنهم)(2) .

ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى فيه : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

فإن المراد بصاحبه أبو بكر - رضى الله عنه .

وقد ثبت فى الصحيح من حديث أنس - رضى الله عنه - أن ا لنبى ﷺ قال لأبى بكر وهما فى الغار : (**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**)(3) فلم يشركه فى هذه المنقبة غيره . ومن مناقبه أن النبى ﷺ قد اختصه بإثبات أهلية الخُلة فقال : (إنه ليس أحد أمنَّ علىّ فى نفسه وماله من أبى بكر .. ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خُلة الإسلام أفضل)(4) وأخبر النبى ﷺ أنه أحب الرجال إليه . فعن عمرو بن العاص - رضى الله عليه - أن النبى ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، قال : (فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك؟ قال : عائشة . قال : فقلت : من الرجال ؟ قال أبوها . قلت : ثم من ؟ قال : عمر بن الخطاب فعدّ رجالاً)(5) .

(1) خلفاء الرسول٥٥ .
(2) صحيح البخارى ٢٦٩٧ .
(3) صحيح البخارى ٣٦٥٣ .
(4) صحيح البخارى ٣٦٥٦ .
(5) صحيح البخارى ٣٦٢ .

ومن مناقبه أنه شهد المشاهد كلها مع النبى ﷺ ، وكان النبى ﷺ يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه. وقد بيَّن الرسول مدى إفادة الإسلام من ذلك فقال : **(ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر)**(١) .

ومن مناقبه أنه كان موضع مشورة النبى ﷺ وقد صاهره بأن تزوج من ابنته عائشة . وهو أول من جمع القرآن وسماه مصحفًا ، وهو أول خليفة فى الإسلام وأول من أقام للناس حجهم بعد رسول الله ﷺ. ومن مناقبه السبق إلى أنواع الخير ، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (من أصبح منكم اليوم صائمًا ؟ قال أبو بكر : أنا . قال: فمن تبع اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضًا : قال أبو بكر : أنا ، فقال ﷺ : ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة)(٢)، ومن مناقبه مناظرته للصحابة فى حديث أهل الردة قال أبو عطاء العطاردى : (دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلاً يُقْبلُ رأس رجل ويقول : أنا فداء لك ، لولا أنت لهلكنا .. قال أبو عطاء فقلت : من المُقبِل ؟ ومن المُقَبّل ؟ قالوا : ذاك عمر يُقبل رأس أبى بكر فى قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين)(٣) ، ومن مناقبه أنه يُدعى من أبواب الجنة .. فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أنفق زوجين من شيء من الأشياء فى سبيل الله دُعى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الصيام وباب الريان . فقال أبو بكر : ما على هذا الذى يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة . وقال هل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر)(٤) .

- ومن مناقبه قوله تعالى: ﴿ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ [الليل : ١٧ : ١٨]

قال ابن الجوزى : أجمعوا على أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر .

(١)صحيح سنن الترمذى ٢٨٩٤.

(٢) صحيح مسلم ١٠٢٨ .

(٣) صفة الصفوة ١/ ٧٧ .

(٤) صحيح البخارى ٣٦٦٦ .

قال عنه أبو نعيم فى الحلية[1] : (... أبو بكر الصدّيق ، السابق إلى التصديق الملقب بالعتيق، المؤيد من الله بالتوفيق ، صاحب النبى فى الحضر والأسفار ، ورفيقه الشفيق فى جميع الأطوار ، وضجيعه بعد الموت فى الروضة المحفوفة بالأنوار ، المخصوص بمفخر فاق به كافة الأخيار وعامة الأبرار ، وبقى له شرفه على مرور الأعصار ولم يسمُ إلى ذروته همم أولوا الأيدى والأبصار ...) .

والحاصل أن مناقبه - رضى الله عنه - كثيرة جدًا - كما رأينا - وقد أفرده جماعة بالتصنيف وله فى تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة قدر مجلدٍ كامل [2] .

● حلمه وتواضعه ●

(لقد كان .. - رضى الله عنه - حليمًا .. بسيطًا متواضعًا ، وكانت بساطته أهم عناصر عظمته وكان قبل أن يصير خليفة يقدم لأهل الحى الذى يسكنه خدمة تناهت فى الطرافة والروعة !! قال علماء السيرّ.. كان أبو بكر - رضى الله عنه - يحلب للحى الذى يسكن فيه أغنام بعض الأرامل والعجائز اللائى فقدن أزواجهن .. ولما بويع بالخلافة قالت جارية من الحى : الآن لن يحلب لنا أغنام دارنا ، فسمعها فقال : بلى لأحلبنها لكم .. وإنى لأرجو ألا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه !!

وكما يقول صاحب كتاب خُلفاء الرسول ... ولم تغير الخلافة من جوهر نفسه أو من أسلوب حياته ..فلم ينسى تواضعه وفضائله فى زحمة انتصاراته .. ولم يعش خليفة فوق الناس بل ظل واحدًا بين الناس ، وها هو الآن .. ينقل خطاه فى وجلٍ وحياء ، مُيممًا وجهه شطر منبر رسول الله ﷺ ، هذا المنبر الذى طالما نادى النبى المسلمين من فوقه ودعاهم إلى الهدى ودين الحق .. ها هو أبو بكر يصعد لأول مرة ، بعد أن غاب عنه فيصله وربانه وإنه ليصعد درجتين ثم يجلس ، فهو لا يبيح لنفسه أن يصعد كل الدرج وكل المرتقى .. لايبيح لنفسه أن يجلس حيث كان الرسول يجلس !! وها هو يستقبل الجمع الحاشد ويتلوا عليه موثقه وعهده)[3] .

(١) ٢٨/١ .
(٢) راجع إن شئت المجلد رقم ٣٠ من تاريخ دمشق .
(٣) خلفاء الرسول ٧٠ بتصرف يسير .

أيها الناس : إنى وليت عليكم ولست بخيركم !! ولست بخيركم يا له متواضع .. !!

وكان من شدة تواضعه يتعهد عجوزًا كبيرةً عمياء بالرعاية والخدمة ويقوم بأمرها . فعن أبى صالح الغفارى (أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزًا كبيرةً عمياء فى بعض حواشى المدينة من الليل فيسقى لها ، ويقوم بأمرها ، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة كيلا يُسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبى بكر الذى يأتيها وهو يومئذ خليفة للمسلمين ، فقال عمر : أنت هو لعمرى)[1] .

● ورعه ●

لقد كان -رضى الله عنه- ورعًا بما تحمله هذه الكلمة من معانٍ . فعن زيد بن أرقم قال : (كان لأبى بكر غلام يأتيه بحاجته ، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له الغلام : مالك ، كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة ؟ فقال أبو بكر : حملنى على ذلك الجوع ، من أين جئت به ؟ قال : مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم فوعدونى فلما أن جاء اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطونى . فقال : أفٍ لك كدت تهلكنى ، فأدخل يده فى حلقة وجعل يتقيأ ، وجعلت بقية لا تخرج فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل اللقمة ؟ فقال : لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها)[2] .

● زهده ●

ولقد كان – رضى الله عنه – زاهدًا فى الدنيا فلم تُرده الدنيا ولم يُرد هو الدنيا.. قال معاوية : إن الدنيا لم ترد أبا بكر ولم يردها وأرادت عمر ولم يردها . وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : (مات أبو بكر فما ترك دينارًا ولا درهمًا . وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه فى بيت مال المسلمين[3] . وعن عبد الله مولى الزبير بن العوام قال : (لما احتضر أبو بكر تمثلت عائشة بهذا البيت :

أعازلُ ما يُغنى الحِذار عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدرُ !!

---

(١) تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٢٢ .

(٢) الرياض النضرة فى مناقب العشرة ٢٣٠ .

(٣) أحمد فى الزهد ١٣٧ .

فقال أبـو بكر : ليس كـذلك يا بنيـه ولكن قولى ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق : ١٩] .

ثم قال : (انظرى إلى ثوبى هذين فاغسلوهما ثم كفنونى فيهما فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت)[١] .

• خلافتـه •

(على إثر وفاة الرسول ﷺ . اجتمع نفر كبير من الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ، ليبايعوا سـعد بن عبادة .. وعـلم أبو بكر ، فـذهب إلى السـقيفة ومعـه عمر وأبو عبيـدة بن الجراح .. لم يُسـارع أبو بكـر ليحتجـز الخلافـة لنفسه ، وإنما سـارع ليكفَّ الفتنـة أولاً ، ثم ليكبح جماح الطائفية ثانيًا، حيث وقف من يقول : يا للأنصار .. ومن يقول يا للمهاجرين .. ثم ليسلك مع المسلمين الطـريق الأمثل لاختيار الخليفـة الذى يستطيع أن يمـلأ الفراغ الـرهيب الذى كـان يملؤه رسول الله ﷺ .

واجـه أبو بكـر الجمـع المحتشـد فى أنـاة .. وكانت ثمـة كلمات تتطـاير كـالرصـاص المقـذوف !! كان نـاس من الأنصار يحرضـون الأنصـار على التشبث بالخلافـة بأسلوبٍ حـادٍ ولاهب .. ! وكان هناك مهاجرون يرفعون أصواتهم الزاجرة ضد رغبة ذلك النفر من الأنصار .. فلقد فقد الناس أكثر صوابهم بموت رسول الله ﷺ ، فلما أداروا خواطرهم حول موضوع الخلافة وهم فى جو الكارثة لا يزالون ، اضطـربت الأمور فى أيديهم ، واتسع نطاق البلبلة والاهتياج .. وعندئذ همّ عمر ليتكلم ، فأسكته أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال فى كلامه نحن الأمـراء وأنتم الوزراء . فقال الحبـاب بن المنذر : لا والله لا نفعل ، منَّـا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء . هـم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا فبايعوا عمر أو أبا عبيدة ، فقال عمر : بل نبـايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده وبايعه الناس)[٢] .

يقول عمر : (فوالله مـا وجدنا أمرًا أوفق من مبايعة أبى بكر ، خشينـا إن نحن تركنا القوم ولم تكن بيعـة أن يُحـدِثوا بيعـة بعـدنا فإما بايعناهـم على مانـرضى ، وإما أخلفنـاهم فيكون فساد)[٣] .

---

(١) أحمد فى الزهد ١٣٧ .

(٢) البخارى ٣٦٦٨ ، وانظر خلفاء الرسول ٧٣ .

ولما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن الله قد جمع أمركم على خيركم ، وصاحب رسول الله ، وثانى إثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة . فقد كانت بيعة السقيفة بيعة الخاصة .

وخطب الصديق خطبة فى الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

(إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقوّمونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانةٌ ، الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى ضعيف عند حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ، لا يدع قومًا الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ...) .

وقال أيضًا : والله ما كنت حريصًا على الإمارة ، ولا سألتها . فى سر ولا علانية ، ولكنى أشفقت من الفتنة ، وما لى فى الإمارة من راحة ، ولقد قُلدت أمرًا عظيمًا ما لى به من طاقة ولا يد إلا بتقوى الله) .

• أحداث فى خلافته •

١ - إنفاذ بعث أسامة :

ما إن استقر الأمر لأبى بكر - رضى الله عنه - حتى بدأ فسيَّر جيش أسامة الذى كان قد أقام بمكان قرب المدينة يقال له (ذو خشب) ولما بلغ أسامة مرض النبى ﷺ ، وكان قد أعدّ هذا الجيش بأمر رسول الله قبل وفاته ، ولكن ما حدث عقب وفاة الرسول من ارتداد بعض القبائل وقتال مانعى الزكاة جعلت الآراء والأصوات تتعالى بالقول :

إن حماية المدينة الآن أصبح ضروريًا لضرب النفاق فكان بعض الصحابة على هذا الرأى، ووسطوا عمر عند الصديق حتى يأخذ بهذا الرأى ، وإذا بعمر يفاجأ بردٍ عنيف من أبى بكر وقد وثب من مجلسه وأخذ بلحية عمر وهو يقول له : **ثكلتك أمك يا ابن الخطاب !!.**

والذى لا إله إلا الله لو جرَّت الكلاب بأرجل أزواج النبى ﷺ ما رددت جيشًا وجهه رسول الله ، ولا حللت لواءًا عقده ، ووجه أسامة[1] .

---

(١) انظر فقه السيرة للدكتور البوطى .

وخرج الصديق يودع الجيش ، وعلى رأسه أسامة ماشيًا ، ولما أراد أسامة أن ينزل ليركب أبو بكر قال له : والله لا نزلت ولا ركبت .. ثم قال الصديق لأسامة : إن رأيت أن تأذن لعمر بالمقام عندى حتى أستعين برأيه على أمور المسلمين .فقال له أسامة : الأمر بيدك .. ثم سار أسامة فكان لا يمر بقبيلة انتشر فيها الارتداد إلا أرجعها ، ولما وصل إلى بلاد الروم قاتلوهم ونصرهم الله عليهم ثم عادوا ظافرين[1] .

٢ - قتال أهل الردة :

لما اشتهرت وفاة النبى ﷺ ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام .. ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر لقتالهم، فأشار عليه عمر وغيره أن يكف عن قتالهم فقال : والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى النبى ﷺ لقاتلتهم عليه ، فقال عمر :

كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . فمن قالها عصم ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله)[2] ، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . قال عمر : (فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق)[3] .

وجهز أبو بكر الجيوش لقتال أهل الردة ، ومانعى الزكاة ، وعقد أحد عشر لواءًا ، وأمر صاحب كل لواء بالتوجه إلى جهة ، وتوجه هو على رأس لواء إلى مكان يسمى (ذى القصة) ولكنّ عليًا أصر عليه وناشده أن يرجع ، وقال له وقد أمسك بزمام راحلته :

لُمَّ سيفك وأمتعنا بنفسك ، فوالله لئن نكب المسلمون بك . لن تقوم لهم قائمة بعدك .. فعاد أبو بكر وكلف باللواء غيره[4] .

وقد أيد الله المسلمين ، وانقطع دابر الارتداد ، واستقر الإسلام فى أنحاء الجزيرة ، وخضعت القبائل لدفع الزكاة .

٣ - جمع القرآن :

بعد أن انتهت حروب الردة جاءت الأنباء بأن عددًا كبيرًا من قراء القرآن قد قتلوا . فعن زيد بن ثابت – رضى الله عنه – قال : (أرسل إلىّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة ، فإذا

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٣٠٤ بتصرف وانظر فقه السيرة للدكتور البوطى .
(٢) صحيح البخارى ١٣٩٩ .
(٣) متفق عليه ، وانظر اللؤلؤ والمرجان رقم الحديث ١٣ .
(٤) البداية والنهاية٦/ ٣٠٦ .

عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر - رضى الله عنه - إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد اسْتَحَرّ يوم اليمامة بقُراء القرآن ، وإنى أخشى إن اسْتَحَرّ القتل بالقرَّاء بالمواطن فيذهب كثيرُ من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يُراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجلُ شاب عاقل لا نتهمُك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله - ﷺ - فتَتَبَّع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىَّ ممَّا أمرنى به من جمع القرآن . قلت كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله - ﷺ - ؟ قال : هو والله خير . ولم يَزَلْ أبو بكر يُراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر- رضى الله عنهما - فتَتَبَّعت القرآن أجمعُه من العُسُب واللِّخاف وصُدور الرجال ، حتى وجدْت آخر سُورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحدٍ غيره ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾[1] حتى خاتمة براءة ، فكانت الصُحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه)[2] .

٤ - فتح العراق :

ولقد جهّز الصديق خالدً إلى العراق ، وبعث معه المثنى بن حارثة الشيبانى ، ولقد نقل المثنى بن حارثة المعارك إلى أطراف العراق لمطاردة الفرس الذين ساعدوا المرتدين فى معارك البحرين ، ومن مطلع المحرم من العام الثانى عشر للهجرة بدأ زحف المجاهدين وبدأ المثنى يضرب فى معاقل الشرك على امتداددجلة والفرات وتم فتح العراق فى معارك فاصلة دارت بين المسلمين وأعدائهم وتجلت فيها الانتصارات بفضل حكمة القيادة وجهاد الأبطال وعسكرية خالد ، وبطولة المثنى بن حارثة .

● من أقواله وحكمه ●

مما يؤثر عنه من حكيم الأخبار ما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى عن أبى برزة قال : (غضب أبوبكر فاشتد غضبه جدًا ، فقلت : يا خليفة رسول الله أضرب عنقه ؟ فقال : ويلك ! ما هى لأحدٍ بعد رسول الله) .

وأخرج بن أبى شيبة فى مصنفه عن الزبير أن أبا بكر قال وهو يخطب الناس : (يا معشر الناس ، استحيوا من الله ، فوالذى نفسى بيده إنى لأظل حين أذهب إلى الغائط فى الفضاء مغطيًا رأسى استحياءًا من الله) .

(١) التوبة : ١٢٨ (٢) صحيح البخارى ٤٩٨٦ .

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عيينه قال : كان أبو بكر إذا عزى رجلاً قال : (ليس مع العزاء مصيبة ، وليس مع الجزع فائدة ، الموت أهون مما قبله ، وأشد مما بعده ، اذكروا فقد النبى تصغُر مصيبتكم وأعظم الله أجركم) .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى صالح قال : (لما قدم أهل اليمن زمان أبى بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون ، فقال أبو بكر : هكذا كنا ، ثم قست القلوب) .

وأخرج أحمد فى الزهد عن سلمان قال :(أتيت أبا بكر ، فقلت : اعهد إلىّ فقال :

(يا سلمان اتق الله ، واعلم أنه سيكون فتوح فلا أعرفن ما كان حظك منها ما جعلته فى بطنك ، أو ألقيته على ظهرك ، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس ، فإنه يصبح فى ذمة الله ، فلا تقتلن أحدًا من أهل ذمة الله فتخفر فى ذمتك فيكبك على وجهك فى النار) .

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعى قال : (كان أبو بكر إذا مُدح قال : اللهم أنت أعلم منى بنفس ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيرًا مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون) .

● مرضه ووفاته ، وعهده بالخلافة إلى عمر ●

وبعد حياة حافلة بالجهاد والنضال فى سبيل نصرة هذا الدين ، وقبل فترة وجيزة من نهاية رحلته فى الحياة أصيب أبو بكر بوعكة صحية من أسبابها أنه اغتسل فى يوم بارد ، فأصابته الحمى ، فلزم بيته ، لا يستطيع الخروج للصلاة .

ومما ذكرته السيَّر أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان طعامًا أُهدى لأبى بكر ، فقال الحارث لأبى بكر : ارفع يدك يا خليفة رسول الله ، والله إن فيه لسُمُ سنة ، فما زال يسرى فى جسمه طوال عام كامل حتى أدركه الموت ..!

وفى هذا قال الشعبى : ماذا ننتظر من الدنيا الدنية وقد سُم رسول الله وسُم أبو بكر ؟!

ومما ذكرته السيَّر أيضًا أنه لما شعر بدنو أجله فى مرضه الأخير خشى من عودة الخلاف بين المسلمين ، فرأى أن يحتاط لهذا الأمر ويعهد بالخلافة ليجمع المسلمين على وحدة دينهم ، فدعا عبد الرحمٰن بن عوف، فقال : اخبرنى عن عمر بن الخطاب. فقال: ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى ، ثم قال عبد الرحمٰن : هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان بن عفان

فقال : اخبرنى عن عمر ؟ فقال أنت أخبرنا به ، فقال على ذلك ؟ فقال : اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله وشاور معهما سعيد بن زيد ، وأسيد بن الحُضير ، وغيرهما من المهاجرين والأنصار . ودخل عليه بعض الصحابة ، فقال قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكر: بالله تخوفنى؟ أقول : اللهم إنى استخلفت عليهم خير أهلك ، أبلغ عنى ما قلت مَنْ وراءك ، ، ثم دعا عثمان فقال : اكتب .. بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجًا منها . وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها .. إنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا ، وإنى لم آلُ الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خيرًا ، فإن عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه ، وإن بدّل فلكل امرىء ما اكتسب والخير أردت ، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ثم أمر بالكتاب فختمه ، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختومًا ، فبايع الناس ورضوا به ، ثم دعا أبو بكر عمر خاليًا ، فأوصاه بما أوصاه ، ثم خرج من عنده ، فرفع أبو بكر يده وقال : اللهم إنى لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم ما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأيًا فوليت عليهم خيرهم ، وأقواهم عليهم ، وأحرصهم على ما أرشدهم ، وقد حضرنى من أمرك ماحضر فاخلفنى فيهم فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، أصلح اللهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين ، وأصلح له رعيته ..!!

وقد توفى أبو بكر - رضى الله عنه - ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمانى ليالى بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وأوصى - رضى الله عنه - أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس ويعينها عبد الرحمٰن ابن أبى بكر ، وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ وصلى عليه عمر ، ونزل فى حفرته : عمر ، وطلحة ، وعثمان بن عفان ، وابنه عبد الرحمٰن . رحمه الله ، ورضى عنه ، وحشرنا فى زمرته وأماتنا على محبته ... اللهم آمين ...

☆○□○☆

(٢)

عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

• اسمه ونسبه •

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى وينتسب إلى قبيلة عدى بن كعب وهى قبيلة عدنانية مشهورة ، ولانتسابه إلى عدى يقال له العدوى .

كان كريم النسب .. يلتقى فى نسبه مع النبى ﷺ فى الجد السابع من جهة أبيه ، ويجتمع معه فى الجد السادس من جهة أمه .

وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة .. أما أبوه فهو الخطاب بن نفيل ابن عبد العزى وكنية عمر أبو حفص – كناه به النبى ﷺ – يوم بدر ، ويكنى بالفاروق لأنه أعلن إسلامه ونادى به والناس يخفون إسلامهم ، ففرق بين الحق والباطل[1] .

• مولده ونشأته •

عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر – رضى الله عنه – قال : ولدت قبل الفجار الأعظم بأربع سنين[2] ، وقال النووى : ولد عمر بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان من أشراف قريش ، وكانت إليه السفارة فى الجاهلية ، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرًا ، وإذا نافرهم منافر ، أو فاخرهم مفاخر ، بعثوه مفاخرًا ومنافرًا ورضوا به .

كان عمر مهيب الجانب فى قومه ، يتميز بالشدة وصدق العزيمة وقوة الشكيمة ، سديد الرأى .. وكان ذا شهامة ونجدة وجرأة .

• صفته •

كان – رضى الله عنه – أبيض البشرة مشربًا بحمرة ، فارع القامة ، مفتول الساعدين ، أصلع شديد الصلع ، كثيف اللحية ، شديد حُمرة العينين. أشيب وكان لا يُغير شيبه .

قال عنه ابن عباس : (كان حليف الإسلام ، ومأوى الأيتام ، ومحل الإيمان ، ومنتهى الإحسان ، كان للحق حصنًا ، وللناس عونًا[3] بحق الله محتسبًا صابرًا ، حتى أظهر الله الدين وفتح الديار ، وذكر الله عز وجل على التلال والبقاع ، وقورًا لله فى الرخاء والشدة ، شكورًا له فى كل وقت فأعقب الله من يبغضه الندامة إلى يوم القيامة .

(١) الطبقات لابن سعد ٣/ ٢٠١ . (٢) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٠٤ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٠١ ، وانظر لن تلقى مثل عمر للطوبجى ١٥ .

وقال عبد الله بن أويس حين سُئل عنه : (ما رأيت أحدًا قط بعد رسول الله ﷺ من حين قُبِض كان أجدُّ ، وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب)[١] .

• إســلامه •

من الأشيـاء التى اشتهرت على الألسنـة قصة إسـلام عمر بن الخطـاب وهى لا تثبت[٢] عنه، قـال الحـافظ شـمس الدين الذهبـى (منـكرة جـدًا) وأشار إلى تضعيفهـا فى السـنن الدار قطنى .

ونحن بدورنا نذكر بعض ما صح فى قصة إسلامه ..

عن عبد الله بن عمـر قال : (لمّا أسلم عمر ، اجتمع النـاس عند داره وقالـوا صبأ عمر - وأنا فوق ظهر بيتى فجـاء رجل عليه قباء ديباج فقال قد صبأ عمر فما ذاك ؟ فأنـا له جار . قال فرأيت الناس تصدعوا عنه. فقلت من هذا ؟ قالوا : العاص بن وائل)[٣] .

وعن ابن عمر أيضًـا قال : (لما أسلم عمر بـن الخطاب لم تعلم قريش بإســلامه فقال : أىّ أهل مكة أفشى للحـديث ؟ فقالوا : جميـل بن معمر الجمحى ، فخرج إليه عمـر ، يقـول ابن عمر : وأنـا أتتبع أثره أعقل مـا أرى وأسمع ، فأتاه فقـال : يا جميل إنى قـد أسلمت ، قال ابن عـمر : فوالله مـا ردعليه كلمةٌ حتى قام عامـدًا إلى المسجد فنادى فى أندية قـريش ، فقال يا معشر قـريش : إن ابن الخطـاب قـد صبأ ، فقـال عمـر : كـذب ولكنى أسلمت وآمنت بـالله وصدقت رسوله ، فثاوروه فقـاتلهم حتى ركدت الشمس فوق رؤوسهم حتى فتر عمر وجلس ، فقال : افعلوا مـا بدا لكم فوالله لو كنـا ثلاثمائة رجل لقد تركتمـوها أو تركناهـا لكم فبينا هم كذلك قيـام إذ جاء رجـل عليه حلـة حريـر وقميص موشى ، فقـال : ما بكـم ؟ فقالوا : إن ابن الخطاب قد صبأ ، فقال : فمه ؟ امرؤ اختـار دينًا لنفسه أفتظنون أن بنى عدى تسلم إليكم صاحبهم ، قال ابن عمر : فكأنما كان ثوبًا انكشف عنـه فقلت له بعد با لمدينـة : ياأبه (كذا) من الرجل الذى رد عنك القوم يومئذ ؟ قال : يا بنى ذاك العاص بن وائل)[٤] .

---

(١) البخارى ٣٦٨٧ .

(٢) المقصود قصته مع أخته وقراءته لسورة طه .

(٣) البخارى ٣٨٦٥ ، وراجع فى ذلك إن شئت فصل الخطاب فى إسلام عمر بن الخطاب ٢٥ .

(٤) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ٢١٨١.

... هذا بعض ما صح فى قصة إسلام عمر .. أما قصته المشهورة ، فقد سبق وأن ذكرنا أنها ضعيفة ولا تثبت ، كما أشار إلى ذلك الذهبى والدار قطنى ، ومن أراد التفصيل فعليه بالرجوع إلى الرسالة المعنونة بـ « فصل الخطاب فى إسلام عمر بن الخطاب » ففيها المزيد . فليراجعها من أراد .

• خلافته •

لما نزل بأبى بكر الموت واستخلف عمر بعد مشورة المسلمين. ودخل طلحة بن عبيد الله فقال : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت مايلقى الناس منه من غلظة وأنت معه وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ر بك فسائلك عن رعيتك ؟

فقال أبو بكر : أجلسونى .فأجلسوه فقال : أبا الله تخوفنى إذا لقيت ربى فسألنى قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك . ثم إن أبا بكر أحضر عثمان خاليًا ليكتب عهد عمر فقال له أكتب .

بسم الله الرحمٰن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين ثم أغمى عليه ، فكتب عثمان أما بعد: فإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم أقصر . ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ علىّ فقرأ عليه فكبّر أبو بكر وقال جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله ، فلما كتب العهد أمر به أن يُقرأ على الناس .. فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا . وتوفى أبو بكر مساء الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاثة عشر ، فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة موت أبى بكر .

• من مناقبه •

لم يزل عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – هو الأمير الأنموذج عند أهل الدنيا وأهل الآخرة ، فلقد انطبعت هذه الحقيقة فى الأذهان حتى غدت بديهية . فقد كان – وما يزال – ثالث هذه الأمة فى الفضل والخيرية بعدنبيها ، والصديق وعلى ذلك إجماع السلف والخلف من أهل السنة والجماعة .

● كان بالحق ناطقًا ، وبالعدل معروفًا ،وبالشجاعة موصوفًا ، وبالعبادة والخشوع والجهاد ملتزمًا ومرفوعًا ، بالإلهام اللائق بالأولياء مخصوصًا قال ابن عمر : (كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان - رضى الله عنهم)[1] .

وقال أهل العلم : لما أسلم عمر عز الإسلام ، وهاجر جهرًا ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها ،وتوفى رسول الله وهو عنه راضٍ ، وشهد له بالجنة[2] والشهادة[3] وبما سيكون على يده من الخير ووصفه بالعبقرى [لم أر عبقريًا يفرى فريه][4]وبيّن أنه إن كان فى الأمة محدث فهو عمر بن الخطاب[5].

● كان مقربًا من رسول الله ﷺ يستشيره فى المهمات وقد صاهره بالزواج من ابنته حفصة ، وأخبر أن الشيطان يفر منه[6]. ومن مناقبه موافقته للقرآن فى خمسة عشر موضعًا. قال : على إنا كنا لنرى أن فى القرآن لكلامًا من كلامه ورأيًا من رأيه ، وقال ابن عمر : (ما نزل بالناس أمر فقالوا فيه وقال عمر إلا نزل القرآن بوفاق قول عمر)[7] .

● ومن مناقبه أنه أول من جمع الناس لقيام رمضان ، وأول من تسمى بأمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من عسّ فى عمله وحمل الدرة وأدب بها ووضع الخراج، ومصّر الأمصار ، واستقضى القضاة ، ودوّن الدواوين وفرض الأعطية وحج بالناس عشر حجج متوالية ، وحج بأمهات المؤمنين فى آخر حجة حجها ، وقدذلّ لوطأته ملوك فارس والروم وعتاة العرب ، قال بعضهم كانت دُرة عمر أهيب من سيف الحجاج - والدرة هى العصا - وبلغ من هيبته أن الناس تركوا الجلوس على الأفنية ، وكان الصبيان إذا رأوه وهم يلعبون فروا مع أنه لم يكن جبارًا ولا متكبرًا ، بل كان حاله بعد الولاية كما كان حاله قبلها .. بل زاد تواضعًا ، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانواأم شبانًا . ومن مناقبه محاسبة الولاة وفق مبدأ من أين لك هذا ؟ ومنعهم من أذى الرعية ، وفتح بابه أمام

(١) سبق تخريجه فى ص ١٢ .
(٢) صحيح البخارى ٣٦٧٤ .
(٣) صحيح مسلم ١٨٨ .
(٤) صحيح البخارى ٣٦٨٢ .
(٥) صحيح البخارى ٣٦٨٩.
(٦) صحيحالبخارى٣٦٨٣ .
(٧) صحيح سنن الترمذى ٢٩٠٨ .

شكاوى الناس وكان ربما حمل القربة على ظهره لأرامل المدينة ، ويحمل لهم صلتهم من بيت المال ، ويحلب لهم شياههم.وربما أوقد تحت قدورهم ونفخ النار وصلى حرها ودخانها ، وكان يسير منفردًا من غير حرس ولا حُجّاب ، ولم تغره الإمرة ، ولم تبطره النعمة ، ولا استطال على مؤمن بلسانه ، ولا حابى أحدًا فى الحق لمنزلته ، وكان يقول للمسلمين : إنما أنا ومالكم كوالى اليتيم إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت .. وهذا غيض من فيض من مناقبه !!

● زهده ●

قال طلحة بن عبيد الله : (ما كان عمر بن الخطاب بأولنا إسلامًا وبأقدمنا هجرة ، ولكنه كان أزهدنا فى الدنيا وأرغبنا فى الآخرة)[1] ، وقال أصحاب السير : (قالت حفصة بنت عمر لأبيها ، قال يزيد إنه قد أوسع الله الرزق وفتح عليك الأرض وأكثر من الخير فلو طعمت طعامًا ألين من طعامك ، ولبست لباسًا ألين من لباسك ، قال عمر:سأخاصمك إلى نفسك ، أتذكرين ما كان من رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش فما كان يذكرها حتى أبكاها .. ثم قال : إنى قد قلت لك إنى والله لئن استطعت لأشاركنهما فى عيشهما الشديد لعلى ألقى معهما عيشهما الرضى - يقصد الرسول ﷺ والصديق . وكان حفص بن أبى العاص يحضر طعام عمر فكان لا يأكل ، فقال له عمر : (ما يمنعك من طعامنا ؟ قال : إن طعامك جشب غليظ وإنى راجع إلى طعام لين قد صنع لى فأصيب منه ، قال عمر : أترانى أعجز أن آمر بشاة فيلقى عنها شعرها وآمر بدقيق فينخل فى خرقة ثم يصب فى خرقة ثم آمر به فيخبز خبزًا رقاقًا ، وآمر بصاع من زبيب فيقذف فى سعن[2] ثم يصب عليه من الماء فيصبح كأنه دم غزال ؟ فقال حفص : إنى لأراك عالمًا بطيب العيش ، فقال عمر : أجل ! والذى نفسى بيده لولا أخشى أن تنتقص حسناتى لشاركتكم فى لين عيشكم)[3] .

● واشتهى عمر سمكًا طريًا فأخذ يرفأ - خادمه - راحلة فسار ليلتين مقبلاً ومدبرًا ، واشترى مكتلاً وجاء به وقام يرفأ إلى الراحلة يغسلها من العرق ، فنظر إليها عمر وقال : (عذبت بهيمة من البهائم فى شهوة عمر ؟ والله لا يذوق عمر ذلك)[4] .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٠٧ .

(٢) السعُن قربة ينبذ فيها ويستقى بها .. لسان العرب مادة سعن ٦/ ٢٧١ .

(٣) الطبقات الكبرى سعد ٣/ ٢١٦ . (٤) مناقب العشرة ٤٠٨ .

● ودخل ذات مرة على ابنه عبد الله . وإذا عندهم لحم فقال : (ما هذا اللحم ؟ فقال : اشتهيته. قال :أو كما اشتهيت شيئًا أكلته .. كفى بالمرء سرفًا أن يأكل كل ما اشتهاه)[1] .

● وأتى عمر بمال فوضع فى المسجد فخرج إليه يتفحصه وينظر إليه فهملت عيناه ، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف : يا أمير المؤمنين ما يبكيك ؟ فوالله إنّ هذا لمن مواطن الشكر . فقال عمر : (إن هذا المال ما أُعطيه قوم قط إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء)[2] .

● ووفد على عمر مسك وعنبر من البحرين فقال : (والله لوددت أنى وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين ، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد ابن عمرو : أنا جيدة الوزن فهلم أزن لك ، قال : لا . قالت لِمَ؟ قال : إنى أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا ، وأدخل أصابعه فى صدغيه ، وتمسحين به عنقك فأصيب فضلاً من المسلمين)[3] .

● وعن أنس قال : (تقرقر بطن عمر وكان يأكل الزيت عام الرمادة ، وكان حرم عليه السمن ، فنقر بطنه بإصبعه ، قال: تقرقر تقرقرك إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس)[4]، ولله در حافظ إبراهيم حين قال :

إن جاع فى شدة قوم شركتهم ... فى الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته ... فى الزهد منزلة سبحان موليها
فمن يبارى (أبا حفص) بسيرته ... أو من يحاول للفاروق تشبيهًا
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها ... من أين لى ثمن الحلوى فأشريها
لا تمتطى شهوات النفس جامحة ... فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به ... أولى فقومى لبيت المال رديها
كذلك أخلاقه العليا وما عهدت ... بعد النبوة أخلاق تحاكيها !

●وعن السائب بن يزيد قال : (رأيت عمر فى زمن الرمادة وعليه إزار فيه ست عشرة رقعة وهو يقول : اللهم لا تجعل هلكة أمة محمد على رجلى)[5] .

(١) أحمد فى الزهد ١٥٣ .
(٢)أحمد فى الزهد ١٤٩ .
(٣) أحمد فى الزهد ١٤٩ .
(٤) الطبقات لابن سعد ٣/ ٦٣٨ . (٥) الطبقات لابن سعد ٣/ ٢٤٣ .

● وعن عامر بن ربيعة قال: (خرجت مع عمر حاجًا من المدينة إلى مكة إلى أن رجعنا فما ضرب له فسطاطًا ولا خباءًا ، بل كان يلقى الكساء أو النطع على الشجرة فيستظل تحته)[1] .

● وعن الحسن قال :(مر عمر على مزبلة فاحتبس عندها فكأنه شق على أصحابه وتأذوا منها فقال : هذه دنياكم التى تحرصون عليها)[2] .

● ورعه وخوفه من الله ●

كان عمر يتاجر وهو خليفة وقد جهز عيرًا إلى الشام . فبعث إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يستقرض منه أربعة آلاف درهم فقال للرسول: (قل له يأخذها من بيت المال ثم يردها . فلما جاءه الرسول وأخبره بما قال فشق ذلك عليه فلقيه عمر فقال له : أنت القائل ليأخذها من بيت المال؟ فإن مِتُّ قبل أن تجيء قلتم أخذها أمير المؤمنين دعوها له وأوخذ بها يوم القيامة ، لاولكن أردت أخذها من رجل حريص شحيح .فإن مت أخذها من مالى)[3] .

● وعن المسور بن مخرمة قال : (كنا نلتزم عمر نتعلم منه الورع)[4].

● وعن عبد الله الأشعرى أنه خرج إلى عمر فنزل ضيفًا عليه وكان لعمر ناقة يحلبها ، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبنًا فأنكره فقال : (ويحك من أين هذا اللبن ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن الناقة انفلت عليها ولدها فشرب لبنها فحلبت لك ناقة من مال الله . فقال عمر : ويحك سقيتنى نارًا ! ادع لى عليًا بن أبى طالب قال : فدعاه فقال : إن هذا عمد إلى ناقة من مال الله فسقانى لبنها أفتحله لى ؟قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ هو حلال لك ولحمها)[5].

● وعن قتادة قال :(قدم بريد ملك الروم على عمر فاستقرضت امرأة عمر دينارًا فاشترت به عطرًا ، وجعلته فى قوارير وبعثت به مع البريد إلى امرأة ملك الروم ، فلما أتاها فرغتهن وملأتهن جواهر ، وقالت: اذهب به إلى امرأة عمر ، فلما أتاها فرغتهن على البساط .

---

(١) الطبقات ٣/ ٢١١ .

(٢) أحمد فى الزهد ١٤٧ .

(٣) الطبقات الكبرى ٣/ ٢١١ .

(٤) الطبقات٣/ ٢٣٠.

(٥) مناقب عمر لابن الجوزى ١٥٢.

فدخل عمـر ، فقال : ما هـذا ؟ فأخبرته فأخـذ عمر الجوهر فبـاعه ، ودفع إلى امرأتـه دينارًا ، وجعل ما بقى فى بيت المال)(١) .

إن عمر ليكـاد يذوب ويتحلل كلما هوّمت حولـه من بعيد ومضة من ومضـات ربه ذى الجلال والإكرام . وكان لا يفتأ يردد لنفسه هذا اللحن المهيب : ما تقول لربك غدًا ... ؟

عن عبد الله بن عـوف عن أبيه عن جـده قال : (صـاح علىّ عمر يومًـا وعلانى بـالدرّة فقلت أذكرك الله ، قال : فطرحها وقال : ذكرتنى عظيماً)(٢) .

ما تقـول لربك غـدًا .. ؟ عبارة قـد نتلوهـا فى دعة ويسر ، أمـا هو فكـانـت تزلـه زلزالاً شديدًا (٣) .

يقول الأحنف بن قيس : كنت مع عمر فلقيـه رجل فقال : (يا أمير المؤمنين انطلق معى فأعدنى على فلان فقـد ظلمنى .. فرفع عمر درته وخفق بها رأس الرجل وقال لـه : تدعون أمر المؤمنين وهـو معرض لكم ، مقبـل عليكم ، حتى إذا شُغل بأمـر المسلمين أتيتموه : أعـدنى : أعدنى – يعنى أنصفنى – فانصرف الـرجل وهو غاضب . فقال عمر :علىّ بـالرجل ، فلما عاد ناوله الدرّة وقال لـه : خذ واقتص لنفسك منى . قال الرجل : لا والله ، ولكنى أدعها لله ولك ، حتى قال ليس هكذا، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده، أو تدعها لى فأعلم ذلك. قال أدعها لله . قـال : أدعها لله . قـال الأحنف : فـانصرف ثم جـاء يمشى حتى دخل منـزلـه وأنا معـه فصلى ركعتين ثم جلس فقال : يا ابن الخطاب : كنت وضيعًا فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت ذليلاً فأعزك الله ثم حملك على رقـاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربتـه ، ما تقول لربك غدًا إذا أتيته ؟ قال الأحنف : فجعل يعاتب نفسه حتى ظننت أنه خير أهل الأرض(٤) .

(أكان عمر يخاف الله خوف العبد الذى يرهبه قرع العصا ولزع السياط ؟

لا ، وإنما كان يخشاه خشية الحر الـذى يرجو لربه وقارًا ، ويضرع إليـه إجلالاً وإكبارًا ، ويخجل أن يلقـاه بتقصير – أىّ تقصير – وهذا هـو نشيده دومًـا : كنت وضيعًا فـرفعك الله ، وكت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فأعزك الله فما تقول لربك غدًا إذا أتيته ... ؟(٥) .

---

(١) مناقب العشرة ٤١٩ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٣٥ .

(٣) خلفاء الرسول ١٣٧ .

(٤) أسد الغابة ٣/ ٦٥٤ وانظر خلفاء الرسول ١٣٧ .

(٥)خلفاء الرسول خالد محمد خالد ١٣٨. .

(ذات يوم ، يقول لجليسه أبى موسى الأشعرى : (يا أبا موسى ، هل يسرك أن إسلامنا مع رسول الله وهجرتنا معه ، وشهادتنا وعملنا كله يرد علينا ، لقاء أن ننجو كفافًا ، لا لنا ولا علينا .. ؟! فقال أبو موسى : لا والله يا عمر ، فلقد جاهدنا ، وصلينا ، وصمنا وعملنا خيرًا كثيرًا ، وأسلم على أيدينا خلق كثير وإنا لنرجو ثواب ذلك . فيجيبه عمر ودموعه تنحدر على وجنتيه كحبات لؤلؤ منثور : أما أنا فوالذى نفس عمر بيده لوددت أن ذلك يرد لى ، ثم أنجو كفافًا رأسًا برأس .. !!) .

انظر إلى أى مدى يهاب الله ويستحى من جلاله !! إن رسول الله ﷺ بشره بالجنة وإنه لأقوى من كل شهوة وزلة ، حتى لكأنه معصوم من الخطأ عصمة كاملة ، ومع هذا يقف دائمًا من الله موقف الخشية والحذر والحياء ..)[1] .

(وحين دُعى للقاء ربه ، واقتربت اللحظات التى سيودع فيها دنيا الناس ، وكانت مشغلته الكبرى حينئذ اختيار الرجل الذى يُسلمه الأمانة والزمام ، اقترب منه المغيرة بن شعبة قائلاً : أنا أدلك عليه ياأمير المؤمنين ، إنه عبد الله بن عمر .. هنالك انتفض عمر وقال : لا أرب لنا فى أموركم ، وإنى ما حمدتها - يقصد الخلافة - فأرغب فيها لأحد من أهل بيتى ، إن كانت خيرًا أصبت منه ، وإن كانت شرًا ، فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويُسأل عن أمر أمة محمد .. إلا إنى قد جهدت نفسى وحرمت أهلى .. وإن نجوت كفافًا لا وزر ولا أجر إنى لسعيد .. !! بالله ما أتقاه ، وما أنقاه ، وما أبره ، وما أطهره .. إنه مهموم بما سيقوله لربه غدًا .. وعمر فى شدته حين يشتد ، وفى لينه حين يلين ، إنما يحركه حرصه الشديد على أن يلقى الله صادق اللهجة .

يقول لعبد الرحمٰن بن عوف : يا عبد الرحمٰن ، لقد لنت للناس حتى خشيت الله فى اللين ، ثم اشتددت حتى خشيت الله فى الشدة ، وأيم الله لأنا أشد منهم فرقًا وخوفًا فأين المخرج ..؟

يقول هذا وينتحب باكيًا ..فيقول عبد الرحمٰن بن عوف - وهو يتملى هذا المشهد الفريد - : أفٍ لهم من بعدك)[2] .

---

(١) خلفاء الرسول ١٣٩ .

(٢) المصدر السابق .

● تواضعه ●

(هل سمع الناس فى طول دنياهم وعرضها ، بعاهل استحالت كل أبهة السلطان وبذخه أمام ناظريه إلى جمر ملتهب يتوقاه أكثر ما يكون التوقى ، ويحاول الفرار منه لو يجد للفرار سبيلاً .. ؟

ذات يوم وهو جالس مع أصحابه اقتحم المجلس رجل مكروب تغشاه وعثاء السفر ، وإذ به يقترب من الناس فيراهم يقولون لأحدهم يا أميرا لمؤمنين ، فيتجه صوب الأمير ، ويقول له فى مرارة : أأنت عمر ؟ ويلُ لك من الله يا عمر !! ثم يمضى لحال سبيله غير وان ولا مكترث ويلحق بعض الحاضرين بالرجل فى غيظ منهم عليه ، ولكن عمر يناديهم ويأمرهم أن يعودوا لمجلسهم ويهرول هو وراء الرجل وفؤاده يرتجف .. ألم يقل له الرجل : ويلُ لك من الله يا عمر ؟! إنها الطامة إذن ، وإنه الهول الذى لا يطيق عمر عليه صبرًا . ويدرك الرجل ثم يعود به ويسأله : ويلى من الله لماذا يا أخا العرب ؟ فيجيبه الرجل ، لأن عمالك وولاتك لا يعدلون ، بل يظلمون . ويسأل عمر : أى عمالى تعنى ؟ يقول الرجل : عامل لك فى مصر اسمه عياض ابن غنم . ولا يكاد عمر يسمع تفاصيل الشكوى حتى يختار من أصحابه رجلين ويقول لهما : اركبا إلى مصر ، واتيانى بعياض بن غنم !! هذا عمر . هذا الشامخ العارم الذى يتفجر قوة وبأسًا وجرأة .. إذا أردت أن تبصره كعصفور احتواه إعصار .. فليس عليك إلا أن تقول له : ألا تتقى الله يا عمر ؟ هنالك تشهد إنسانًا قامت يساره وكتابه منشورًا أمام عينيه والأفق كله يدوى فى سمعه)[1].

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[2].

● ولقد كان معه تواضعه .. حتى وهو مشرف على الرحيل عن الدنيا .. وساعة كان يستقبل الموت يقول لابنه عبد الله : ياعبد الله خذ رأسى عن الوسادة وضعها فوق التراب ، لعل الله ينظر إلىّ فيرحمنى .. !!

● رآه زيد بن ثابت وعلى عاتقه قربة ماء وهو يتخلل الناس ،فقال : (يا أميرا لمؤمنين ، فقال لى : لا تتكلم وأقول لك ، يقول زيد : فسرت معه حتى صبها فى بيت عجوز ، وعدنا إلى

(١) خلفاء الرسول ١٤٦ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ١٤ .

منزله . فقلت له فى ذلك .فقال : إنه حضرنى بعد انصرافك رسول الروم ورسول الفرس فقالوا : لله درّك يا عمر ، قد اجتمع الناس على علمك وفضلك وعدلك ، فلما خرجوا من عندى تداخلنى ما يتداخل البشر فقمت ففعلت بنفسى ما فعلت)[1] .

(ويسأل كل من يلقاه فى لهفة وجد : قل لى بربك ولا تكذبنى كيف تجد عمر .. ؟ أتحسب الله راضيًا عنى .. ؟ أترانى لم أخف الله ورسوله فيكم ..؟ عن أنس قال : (سمعت عمر يومًا وقد خرجت معه حتى دخل حائطًا فسمعته وهو يقول : عمر أمير المؤمنين بخٍ بخٍ والله يا ابن الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك)[2] .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : (صحبت عمر من المدينة إلى مكة فى الحج ثم رجعنا فما ضرب فسطاطًا ، ولا كان بناء يستظل به ، وإنما كان يلقى كسائه على الشجرة فيستظل تحته)[3] .

● عدله واهتمامه برعيته ●

(أما عن عدله واهتمامه برعيته فسوف نلتقى به فى دروب التاريخ ونحاول أن نعيش معه لحظات ، ونأخذ من المشهد المكتوب عوض ما فاتنا من المشهد الحى ، والمشهد المسطور من تاريخه لا يكاد يختلف عن المشهد الحى إلا فى غياب البطل عن حاسة البصر)[4] .

ولنبدأ فى عرض بعضا لمشاهد :

(فى عام الرمادة ، وكان عام مجاعة قاتلةٌ بالمدينة ، أمر يومًا بنحر جزور وتوزيع لحمه على أهل المدينة .. وقام المختصون بالمهمة ، بيد أنهم استبقوا لأمير المؤمنين ، أطيب أجزاء الذبيحة .. وعند الغذاء ، وجد عمر أمامه سنام الجزور وكبده ، وهما أطيب مافيه !! فقال : من أين هذا ..؟ قيل من الجزو ر الذى ذبح اليوم . فقال وهو يزيحه بيده بخٍ بخٍ ، بئس الوالى أنا ، إن طعمت طيبها ، وتركت للناس عظامها .. ثم نادى خادمه أسلم ، وقال له : ارفع هذه الجفنة وائتنى بخبز وزيت ..!!

---

(١) الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى ٤٢٢ وانظر خلفاء الرسول ١٤٦ .
(٢) أحمد فى الزهد ١٤٤ . وانظر خلفاء الرسول ١٤٦ .
(٣) الطبقات لابن سعد ٣/ ٢١١ . (٤) خلفاء الرسول بتصرف ١٤٥ .

● وذات يوم يتلقى من أحد ولاته هدية من الحلوى ، ولا تكاد توضع بين يديه حتى سأل من جاء بها : ما هذا ؟ قال :حلوى يصنعها أهل آذربيجان ، فذاقها عمر ، فوجد لها مذاقًا شهيًا فعاد يسأل من جاء بها .. أو كل المسلمين هناك يطعمون هذا ؟ قال الرجل : لا .. وإنما هو طعام الخاصة .. فأعاد عمر إغلاق الوعاء جيدًا وقال للرجل : أين بعيرك ..؟ خذ حملك هذا ، وارجع به لعتبة ، وقل له : عمر يقول لك : اتق الله ، واشبع المسلمين مما تشبع منه .. !![1] .

ويعقب على ذلك الأستاذ خالد محمد خالد فى كتابه « خلفاء الرسول » فيقول : هذا الحاكم لا نلقاه فى مكان الصدارة ، ولا فى مقدمة الموكب إلا حين تكون المخاطر داهمة .. أما دون هذا ، فقد اختار مكانه دومًا هناك .. آخر المقعد .. فى آخر صف .. ليحرس القافلة وليتأكد إذا كانت ثمة نعمة مقبلة أنها لم تبلغه إلا بعد أن قد مرت بالناس جميعًا .. !!

ونوالى عرض المشاهد .. لو رأيناه وهو يعاتب ولده عبد الله لرأينا عجبًا .. مع أن عبد الله كان إمامًا فى الورع والزهد والتقى .. فقد كان يتبع خطى أبيه ولم تكن نفسه لتزين له شبهة من سوء ، ومع هذا ، فما كاد عمر يراه يستروح نعمة متواضعة من نعم الدنيا إلا قال له : ألإنك ابن أميرالمؤمنين تأكل لحمًا ، والناس فى خصاصة : إلا خبزًا وملحًا. إلا خبزًا وزيتًا ..؟[2] ، ويخرج إلى السوق يومًا فى جولة تفتيشية ، فيرى إبلاً سمانًا ، تمتاز عن بقية الإبل بنموها وامتلائها ، فيسأل : إبل مَنْ هذه ؟ قالوا : إبل عبد الله بن عمر ، وانتفض عمر ، كأنما القيامة قامت ، وقال :عبد الله بن عمر ..؟ بخٍ بخٍ يا ابن أمير المؤمنين ..!! وأرسل فى طلبه من فوره ، وأقبل عبد الله يسعى.. وحين وقف بين يديه ، أخذ عمر يفتل سبلة شاربه ، وقال لابنه : ما هذه الإبل يا عبد الله ..؟ فأجاب : إنها إبل هزيلة اشتريتها بمالى وبعثت بها إلى المرعى أتاجر فيها ، وأبتغى ما يبتغى المسلمون . فعقَّب عمر فى تهكم لاذع : ويقول الناس حين يرونها .. ارعوا ابن أمير المؤمنين .. اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين .. وهكذا تسمن إبلك ، ويربوا ربحك يا ابن أمير المؤمنين !! ثم صاح به : يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك الذى دفعته فى هذه الإبل واجعل الربح فى بيت مال المسلمين !!)[3] .

(١) خلفاء الرسول ١١٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

إن الحدث الذى لا يكاد يحثه أكثر الناس يقظة وتحفزًا وإنسانية كان عمر يرتجف منه ويحتشد له ويقيس عليه الأشياء والنظائر ثم يضع تشريعًا ويسن قانونًا[1]. ولنلمح هذا المشهد :

(قدم المدينة بعض التجار فى إحدى الأمسيات ، وخيّموا عند مشارفها ، فاصطحب أمير المؤمنين عبد الرحمٰن بن عوف ليتفقدا أمر القافلة ، وكان الليل قد تصرم ، واقترب الهزيع الأخير منه .. وعند القافلة النائمة اتخذ عمر وصاحبه مجلسًا على مقربة منها وقال لابن عوف : فلنمض بقية الليل هنا نحرس ضيوفنا ، وإذ هما جالسان ، سمعا صوت بكاء صبى ، فانتبه عمر وصمت .. وانتظر أن يكف الصبى عن بكاءه ، ولكنه تمادى فيه ، فمضى يسرع صوبه ، وحين اقترب منه وسمع أمه تُنهْنه ، قال لها : اتقى الله وأحسنى إلى صبيك .! ثم عاد إلى مكانه .. وبعد حين عاود الصبى البكاء فهرول عمر نحوه ، ونادى أمه : قلت لك اتقى الله وأحسنى إلى صبيك !! وعاد إلى مجلسه . بَيْد أنه لم يكد يستقر حتى زلزله مرة أخرى بكاء الصبى ، فذهب إلى أمه وقال لها : ويحك .. إنى لأراك أمّا سوء . مالصبيك لا يقر له قرار ؟ قالت ، وهى لاتعرف عمر : يا عبد الله قد أضجرتنى .. إنى أحمله على الفطام فيأبى .. فسألها: ولِمَ تحملينه على الفطام ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم .. قال وأنفاسه تتواثب : وكم له من العمر ؟ قالت : بضعة أشهر . قال : ويحك .. لا تعجليه .. يقول عبد الرحمٰن بن عوف : فصلى بنا الفجر يومئذ وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلَّم قال : يا بؤسًا لعمر ! كم قتل من أولاد المسلمين .؟! ثم أمر منادٍ ينادى فى المدينة : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإنا نفرض من بيت المال لكل مولود يولد فى الإسلام. ثم كتب بهذا إلى جميع ولاته فى الأمصار)[2] .

وفى العام الذى لقى الله فيه ، كان على موعد مع نفسه أن يطوف بجميع الأمصار ليتفقد أحوال الناس ويبلوا أخبارهم . ولقد قال يومًا لأصحابه : لئن عشت إن شاء الله ، لأسيرن فى الرعية حولاً ، فإنى أعلم أنّ للناس حوائج تقطع دونى .. أما ولاتهم فلا يرفعونها إلىّ ، وأماهم فلا يصلون إلىّ .. أسير إلى الشام فأقيم شهرين وبالجزيرة شهرين ، وبمصر شهرين وبالبحرين

(١) المصدر السابق بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق .

شهرين ، وبالكوفة شهرين ، وبالبصرة شهرين .. والله لنعم الحول هذا .. !! ولكن لم يسعفه القدر ولم يمهله[1] .

- إنما أنقل هذه المشاهد بدون ترتيب .. لنرى ملامح هذه الشخصية من كافة جوانبها ..ولنرى معًا هذا المشهد : (وفد على عمر وفد من أهل حمص فسألهم عن واليهم عبد الله بن قرط .. فقالوا : خير أمير لولا أنه قد بنى لنفسه دارًا فارهة .. ويهمهم عمر : دارًا فارهة ..يتشامخ بها على الناس ؟بخٍ بخٍ لابن قرط .. ثم أوفد إليه رسولاً ، يقول له : ابدأ بالدار فأحرق بابها ثم إئت به إلى أميرالمؤمنين !!

ويعود الرسول إلى عمر بوالى حمص ويمتنع عمر عن لقائه ثلاثة أيام . ثم فى اليوم الرابع يستقبله ويختار للقائه مكان يسمى الحرّة حيث تعيش إبل الصدقة وأغنامها ولا يكاد الرجل يُقْبِلُ ، حتى يأمره أن يخلع حُلته ، ويلبس مكانها لباس الرعاة ويقول له : هذا خير مما كان يلبس أبوك .. ثم ناوله عصا وقال له .. وهذه خير من العصا التى كان أبوك يهش بها على غنمه .. ثم يشير بيده إلى الإبل ويقول له : اتبعها وارعها يا عبد الله ..!! وبعد حين يستدعيه عمر ، ويقول له معاتبًا : هل أرسلتك لتشيد وتبنى ..؟ ارجع إلى عملك ولاتعد لما فعلت أبدًا ..!!

ألا ترون أننا أمام أسطورة.. بل لو كانت أسطورة يصعب تصديقها .. ولكن لحسن حظ البشرية أن(عمر) لم يكن أسطورة ، بل كان حقيقة ملأت الزمان والمكان .. وكان هدى من الله للناس يقول لهم : هكذا حاولوا أن تكونوا..)[2].

قال إياس بن سلمة : (مر عمر فى السوق ومعه الدّرة ، فوجدنى واقفًا فى طريق الناس ، فضربنى ضربة خفيفة أصابت طرف ثوبى ، وقال : ابتعد عن الطريق حتى يستطيع الناس السير ، فلما كان العام المقبل لقينى وقال : يا ابن سلمة هل تريد الحج ؟ فقلت: نعم ، فأخذ بيدى فذهب إلى بيته ، فأعطانى ستمائة درهم وقال استعن بها على حجك واعلم أنها بالضربة التى ضربتك . قلت يا أمير المؤمنين ، إنى لا أذكرها ، قال عمر : وأنا ما نسيتها ..!![3] .

وتتزاحم المشاهد .. وتتقاذف سراعًا .. ويختار قلمى أى المشاهد يسجل وأى المشاهد يصور .. وأترك لقلمى العنان.

(١) نفسه . (٢) خلفاء الرسول ١٧٢ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢١٦ .

عن مولى عثمان بن عفان قال : (بينما أنا مع عثمان فى مالٍ له فى مكان يسمى العالية ، وفى يوم صائف قائظ يُذيب حرة الجبال ، إذ رأيت رجلاً يسوق بكرين من الإبل صغيرين، فقال عثمان : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ؟ ثم دنا الرجل فنظرت فإذا هو رجل معمم بردائه .. فإذا بى أعرفه .. إنه أمير المؤمنين عمر .. فأخرج عثمان رأسه من كوة صغيرة متوقيًا سخونة الريح ، ونادى من أخرجك هذه الساعة يا أمير المؤمنين ..؟ فأجاب عمر : بكران من إبل الصدقة تخلفا عن المرعى ، وخشيت أن يضيعا ، فيسألنى الله عنهما ..!! فقال عثمان : هَلُم إلى الماء والظل ، ونحن نكفيك هذا الأمر .. فقال له عمر : عُدْ إلى ظلك يا عثمان ، قال عثمان : عندنا من يكفيك هذا الأمر يا أمير المؤمنين .. فقال عمر : عُدْ إلى ظلك ياعثمان.. ومضى إلى حال سبيله.. والحريصهر الصخر ..!!)[1].

(ويصعد المنبر يومًا فيقول : يا معشر المسلمين ، ماذا تقولون لو مِلتُ برأسى إلى الدنيا هكذا.. ؟ فيشق الصفوف رجل ويقول وهو يلوح بذراعه كأنها حسام ممشوق : إذن نقول بالسيف هكذا.. فيسأله عمر : إياى تعنى بقولك .. ؟؟ فيجيب الرجل : نعم إياك أعنى بقولى ..! فتضئ الفرحة وجه عمر، ويقول : رحمك الله والحمد لله الذى جعل فيكم من يقوّم عوجى..!!

لم يكن هذا الموقف من أمير المؤمنين موقفًا استعراضيًا ، فعمر أكثر قوة وأمانة من أن يلجأ لمثل هذه المواقف ، وإنما كان سلوكًا صادقًا ، ونهجًا تلقائيًا مخلصًا ، وينشد عمر من ورائه الوصول إلى الحق والطمأنينة .. على أنه يحكم أمة من الأسود لا قطيعًا من النعاج)[2] .

● وكان – رضى الله عنه – فى سفر قريبًا من الروحاء فسمع صوت راعٍ فى جبل فعدل عمر إليه فلما دنا منه صاح : (يا راعى الغنم ، يا راعيها، فأجابهالراعى فقال : إنى قد مررت بمكان هو أخصب من مكانك وإنّ كل راعٍ مسئول عن رعيته)[3] .

(وها هو شبح قادم من بعيد .. من مصر يستغيث بأميرالمؤمنين .. أتذكرونه ؟ إنه المصرى الذى ضربه ابن والى مصر آنذاك عمرو بن العاص يقول : ياأمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك ..إن محمد بن عمرو بن العاص قد ضربنى لأنه سابقنى فسبقته فعلا ظهرى بالسوط وهو يقول : خذها وأنا ابن الأكرمين ..!

(١) أسد الغابة ٣/ ٦٦٨ وانظر خلفاء الرسول ١٨٠ .

(٢) خلفاء الرسول ١٩٠ وما بعدها . (٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٢١ .

يقول أنس بن مالك – رضى الله عنه – وقد كان حاضرًا هذا المشهد .. فوالله ما زاده عمر على أن قال : اجلس ثم كتب إلى عمرو إذا جاءك كتابى هذا فأقبل وأقبل معك بابنك محمد .. فقدما على عمر .. قال أنس : فوالله إذ نحن بعمرو بن العاص وقد أقبل فى إزار ورداء فجعل عمر يتلفت باحثًا عن ابنه محمد ، فإذا هو خلف أبيه.. فقال عمر : أين المصرى ؟ فقال : ها أنا ذا يا أمير المؤمنين.. قال عمر : خذ الدّرة واضرب ابن الأكرمين فضربه حتى أثخنه .. فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين !! ثم قال عمر : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلابفضل سلطانه.. قال المصرى : يا أمير المؤمنين ، قد استوفيت ، واشتفيت ، وضربت من ضربنى .. قال عمر : أما والله لو ضربته ما حُلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه .. ثم التفت إلى عمرو وقال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا .. والتفت إلى المصرى وقال : انصرف راشدًا ، فإن رابك شىء فاكتب إلى ..!!)(1) .

ونقف أمام هذا المشهد بدون تعليق .. فهو أبلغ من أى تعليق ..!!

(وقد وسع العدل فى عهده أهل الرباط فى ثغورهم ، وبقية المسلمين أيًا كانت أماكنهم حتى العجائز والأرامل .. ولقد كان يقول : لأن سلمنى الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى أحد بعدى أبدًا) (2).

● ولقد اهتزت الأرض فى عهده فضربها بالدرة وقال : « ويحك ، ألم أعدل عليك ؟! » .

● حدث فى خلافة عمر ●

لقد كانت خلافة الفاروق حافلة بجلائل الأعمال ..فقد قوض الله على يديه أعظم امبراطوريتين فى ذلك العصر : الروم وفارس ، ونمت فى عهده فتوحات واسعة ، تسير جيوشه مكللة بأكاليل النصر والظفر ، لا تُنكس لها راية ، ولا يطوى لها لواء ناشرة عقيدة التوحيد ، حاملة مبادئ الخير والعدل والرحمة إلى كل الأقطار والأمصار .

● **ففى سنة أربع عشرة** : فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة ، وفيها جمع عمر الناس على صلاة التراويح .

---

(1) خلفاء الرسول ١٩١ وما بعدها .

(2) عبد الله بن سبأ وأثره فى إحداث الفتنة فى صدر الإسلام سليمان العودة ٢٥ .

● **وفى سنة خمس عشرة** : فتحت الأردن ، وفيها كانت واقعة اليرموك ، والقادسية[١] وفيها فرض عمر الفروض ، ومصّر الأمصار ، ودوّن الدواوين .

● **وفى سنة ست عشرة** : فتحت الأهواز والمدائن، وأقام بها سعد فى إيوان كسرى وفيها كانت موقعة جلولاء ، وفيها فتحت تكريت ، وفيها سار عمر ففتح بيت المقدس .

● **وفى سنة سبع عشرة** : زاد عمر فى المسجد النبوى ، وفيها كان القحط وسمى عام الرمادة .

● **وفى سنة ثمان عشرة** : فتحت جند يسابور صلحًا ، وحلوان عنوة ، وفيها كان طاعون عمواس[٢] ، وفيها فتحت الرها وحرّان ، والموصل ونواحيها عنوة .

● **وفى سنة عشرين** : فتحت مصر عنوة ، وفيها فتحت تستر ، وفيها هلك قيصر عظيم الروم ، وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران .

● **وفى سنة إحدى وعشرين**: فتحت الإسكندرية ، ونهاوند ، وبرقة .

● **وفى سنة اثنتين وعشرين** : فتحت آذربيجان ، والدينور ، وهمذان ، وطرابلس والمغرب .

● **وفى سنة ثلاث وعشرين** : كان فتح كرمان ، وسجستان ، ومكران وأصبهان ونواحيها وفى آخرها كانت وفاة الفاروق عمر - رضى الله عنه - بعد صدوره من الحج شهيدًا .

قال سعيد بن المسيب : (لما نفر عمر من منى أناخ بالأبطح ، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط ، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل - رحمه الله)[٣] .

● أوليات عمر ●

لقد كان - رضى الله عنه - أول من سُمى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سن قيام شهر رمضان ، وأول من عس بالليل -

(١) انظر خبر هذه الواقعة فى الحديث عن سعد بن أبى وقاص - وكذا فتح المدائن ص ١٢٣/ ١٢٥ .
(٢) انظر خبر ذلك فى الحديث عن أبى عبيدة بن الجراح ص ١٤٥ .
(٣) تاريخ الخلفاء ١٠٥ ط دار الكتب العلمية .

أى تفقد أحوال الناس ، وأول من عاقب على الهجاء ،وأول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وأول من حرَّم المتعة ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، وأول من اتخذ الديوان ، وأول من فتح الفتوح ، ومسح السواد ، وأول من حمل الطعام فى مصر من بحر أيله إلى المدينة ، وأول من قال : أطال الله بقاءك ..! قالها لعلى ابن أبى طالب ، وأول من قال : أيدك الله ! قالها لعلى[1] .

وقال ابن سعد : اتخذ عمر دار الدقيق ، فجعل فيها الدقيق والسويق ، والتمر ، والزبيب وما يحتاج إليه : يعين به المنقطع ، ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به، وهدم المسجد النبوى ، ووسعه وزادفيه وفرشه بالحصباء ، وهو الذى أخّر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم ، وكان ملصقًا بالبيت[2].

• استشهادعمر •

وبعدحياة حافلة بجلائل الأعمال ..أنصت لها الزمان وسجلها قلم التاريخ بحروف من نور .. شاء الله سبحانه أن يموت الفاروق شهيدًا ..!! (.. فها هو يعود من بيت الله حاجًا سنة ٢٣هـ ، فينزل بالأبطح ، وتدور فى مخيلته خواطر كثيرة ..ترى هل يطول بعمر العهد على تلك الحال ؟ وهل تستمر أوضاع المسلمين على ذلك المنوال ؟ أم يتمنى عمر أن يلقى الله قرير العين مرتاح البال ؟

لقد دونت الدواوين ، ومصرت الأمصار ، ونال كل ذى حق حقه ، ووسع العدل أهل الرباط فى ثغورهم ، وبقية المسلمين أيًا كانت أماكنهم . لكن عمر يتضرع إلى الله بقلب خاشع .. « لقد كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى ، وأخشى التقصير على نفسى ، اللهم فاقبضنى إليك شهيدًا وفى بلد نبيك ﷺ » .. ويستجيب الله دعاءه ويدفن بجوار رسول الله ﷺ وصاحبه[3] .

أما عن كيف قتل ؟

فقد ذكر أصحاب السير أن عمر كان لايأذن لمشرك قد احتلم بدخول المدينة حتى كتب

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٥٨ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٦٠ .

(٣) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام ٢٥ ، ٢٦ .

المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلامًا عنده صانعًا ويستأذنه أن يدخله المدينة ، ويقول إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس ، إنه حداد ، نجار ، نقاش ، فأذن له عمر أن يرسل به .

وقبيل قتل عمر جاءه هذا الغلام - وهو أبو لؤلؤة المجوسى - يشتكى ويتظلم من الخراج الذى فرضه عليه سيده المغيرة بن شعبة ومقداره درهمان فى اليوم - وقيل أربعة - وسأله عمر عما يملكه من صناعة فأجاب بأنه نقاش ، حداد ،نجار . فقال عمر : ما أرى خراجك بكثير على ماتصنع ، فانصرف ساخطًا يتذمر ، وقال :وسع الناس كلهم عدله غيرى . فأضمر على قتله .

فلبث عمر ليالى ثم دعاهُ فقال : ألم أخبر أنك تقول : لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح ؟ فالتفت إلى عمر عابسًا وقال : لأصنعن لك رحى يتحدث بها الناس . فلما ولّى قال عمر لأصحابه: أوعدنى العبد آنفًا ، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه ، فكمن بزاوية من زوايا المسجد فى الغلس ، فلم يزل هناك ، وكان عمر يقول أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر فجاء فقام حذاءه فى الصف وضربه فى كتفه وخاصرته ، فسقط عمر وهو يقول قتلنى الكلب ، وطار أبو لؤلؤة بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينًا ولا شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة ، فلما رأى ذلك رجلٌ طرح عليه بردًا فلما ظن أنه مأخوذ قتل نفسه وتناول عمر بيد عبد الرحمٰن بن عوف فقدّمه يصلى، وأما نواحى المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون : سبحان الله .. سبحان الله وصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة ، وحُمل عمر إلى البيت وهو لم يصل بعد فقيل يا أمير المؤمنين : (الصلاة ، الصلاة ، قال : الصلاة ها الله إذن لاحظ لإمرى فى الإسلام ضيع صلاته)[1] ، ثم وثب يقوم للصلاة فانبعث الدم من جرحه ، قال : هاتوا إلى عمامة فعصب بها جرحه ثم صلى ثم قال : « يا أيها الناس على ملأ منكم كان قتلى ؟ فقال على : لا والله يا أمير المؤمنين ، وما ندرى من الطاغى من خلق الله ، أنفسنا تفدى نفسك ، ودماؤنا تفدى دمك ، فالتفت إلى ابن عباس فقال : اخرج فسل الناس ما بالهم وأصدقنى الحديث ، فخرج ثم جاء فقال : يا أمير المؤمنين : أبشر بالجنة ، لا والله ما رأيت عينًا تطرف من خلق الله من ذكر

(١) مالك فى الموطأ بنحوه ٢/ ٥١.

ولا أنثى إلا باكية عليك ، يفدونك بالأباء والأمهات ، طعنك غلام المغيرة وطعن معك اثنى عشر رجلاً . فقال عمر : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام » .

ثم قال الناس : يا أميرالمؤمنين لو شربت شرابًا فشرب فخرج شرابٌ من جرحه مع الصديد ولم يتبين لهم أنه شرابه الذى شربه .فقالوا لو شربت لبنًا فشرب فخرج من جرحه،فلما رأى بياضه بكى وأبكى من حوله وقال : هذا حين لو أن لى ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ، قالوا : وما أبكاك إلا هذا ؟ قال : وما أبكانى غيره ، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين : والله إن كان إسلامك لنصرًا ، وإن كانت إمارتك لفتحًا ، والله لقد ملأت الأرض عدلاً ، ما من اثنين يختصمان إليك إلا انتهيا إلى قولك . فقال عمر : أجلسونى ، ثم قال لابن عباس : أعد علىّ كلامك ، فلما أعاد عليه قال عمر : أتشهد لى بذلك عند الله عز وجل يوم القيامة ؟ فقال ابن عباس : نعم ، ففرح بذلك وأعجبه ، ثم التفت إلى ابنه عبد الله وقال ضع خدى على الأرض فلم يكترث لها ، فقال مرة أخرى: ضع خدى على الأرض يابنى ، فلم يفعل ، فقال الثالثة : ضع خدى على الأرض لا أم لك !!

يقول عبد الله : ولم يمنعه أن يضعه هو إلا ممافيه من الغلبة وقال : فوضعت خده على الأرض حتى نظرت إلى أطراف شعر لحيته خارجة من بين أصغاب الأرض ، وبكى حتى نظرت إلى الطين قد لصق عينيه فأصغيت أنى أسمع ما يقول ، فسمعته يقول : يا ويل عمر وويل أم عمر إن لم يتجاوز عنه ويوصى عمر ابنه عبد الله بأن يقضى ما عليه من ديون ، وأن يستأذن أم المؤمنين عائشة فى أن يدفن مع صاحبيه ويقول له : (انطلق إلى عائشة فقل يقرأ عليك عمر السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين ، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرًا ، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، ويستبشر عمر حينما يطمئنه عبد الله بسماح أم المؤمنين وإذنها له فى دفنه بجوار صاحبيه)[1] ، وكان ذلك هو الأمر الوحيد الذى عاد يهمه ويوليه فكره «الحمد لله ما كان من شىء أهم إلىّ من ذلك » .

ولقد كان طعن عمر – رضى الله عنه – لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة فيعيش بعد ذلك ثلاثة أيام ، وقيل سبعة.

---

(١) صحيح البخارى ١٣٩٢ .

● أثر مقتله على المسلمين[1] ●

كان هول الفاجعة على المسلمين عظيمًا ، فلم تكن الحادثة بعد مرض ألمّ بعمر ، كما كان يزيد من هولها فى المسجد وعمر يؤم الناس لصلاة الصبح ، ومعرفة حال المسلمين بعد وقوع الحدث يطلعنا على أثر الحادث فى نفوسهم . يقول عمرو بن ميمون : (... وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ) ويذهب ابن عباس ليستطلع الخبر بعد مقتل عمر ليقول له : (إنه ما مرّ بملأ إلا وهم يبكون وكأنما فقدوا أبكار أولادهم) ، لقد كان عمر - رضى الله عنه - معْلمًا من معالم الهدى ، وفارقًا بين الحق والباطل ..أفلا تتأثر الناس بفقده ؟!

فقد كان عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - عندما يذكر له عمر يبكى حتى تبتل الحصى من دموعه ثم يقول : (إن عمر كان حصنًا للإسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات انثلم الحصن فالناس يخرجون من الإسلام)[2].

ويقول أيضًا : (إن موت عمر ثلم ثلمة لا ترتق إلى القيامة)[3] . أما أبو عبيدة ابن الجراح ، فقد كان يقول قبل أن يقتل عمر : (إن مات عمر رق الإسلام ، ما أحب أن لى ما تطلع عليه الشمس أو تغرب وأن أبقى بعد عمر ، فقيل له: لِمَ؟ قال : سترون ما أقول إن بقيتم ، وأما هو فإن ولى وال بعد فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يطع له الناس بذلك ولم يحملوه ، وإن ضعف عنهم قتلوه)[4] .

(ويكفى أن نتصور ماقاله أبى طلحة- رضى الله عنه - لنعرف إلى أى مدى كان تأثير مقتل عمر على مجتمع المسلمين ، قال أنس بن مالك - رضى الله عنه - : (اجتمع أصحاب الشورى فلما رآهم أبو طلحة وما يصنعون قال لأن تدافعوها أخوف منى من أن تنافسوها ، فوالله ما من أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم فى موت عمر نقص فى دينهم ودنياهم)[5].

(١) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام د/ سليمان العودة ٢٩ .
(٢) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٨٤.
(٣) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٨٤ .
(٤) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٨٤ .
(٥) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ٢٩ بتصرف .

وعن سالم بن عبد الله بن عمر قال : (سمعت رجلاً من الأنصار يقول : لقد دعوت الله أن يرينى عمر فى المنام ، فرأيته بعد عشر سنين ، وهو يمسح العرق على جبينه ، فقلت يا أمير المؤمنين ما فعلت؟ قال : الآن فرغت ولولا رحمة ربى لهلكت)(١) .

● ولقد كانت مدة خلافته - رضى الله عنه وأرضاه - عشر سنين وستة أشهر وخمس ليالٍ ..!!

● من أقواله وكلماته الخالدة ●

● كتب عمر إلى ابنه عبد الله : أما بعد: فإن من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكره زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا دين له ، ولا أجر لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له .

● وقال - رضى الله عنه - لولا أن أسير فى سبيل الله ، أو أضع جبينى فى التراب أو أجالس قومًا يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر لأحببت أن أكون قد لحقت بالله .

● وقال : لن يعطى أحد بعد كفر بالله عز وجل شيئًا شرًا من امرأة حديدة اللسان ، سيئة الخلق، لا ودودة ولا ولودة .

● ونظر يومًا إلى شاب قد نكّس رأسه فقال له : يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب ، فمن أظهر للناس خشوعًا فوق ما فى القلب ، فإنما أظهر للناس نفاقًا على نفاق .

● وقال أيضًا : يأتى على الناس زمانًا يكون صالح من لا يأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر . إن غضبوا غضبوا لأنفسهم ، وإن رضوا رضوا لأنفسهم لا يغضبون لله ولا يرضون لله.

● وقال أيضًا : إنّ أخوف ما أخاف عليكم تغير الزمان ، وزيغة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون يضلون الناس بغير علم .

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/ ٢٨٦ .

● وخطب يومًا بالجابية[1] فقال : إن الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، فقال القس : الله أعدل أن يضل أحدًا .فبلغ ذلك عمر فبعث إليه « بل أضلك الله ولولا عهدك لضربت عنقك !! » .

● وكان يقول : إن الرجف من كثرة الجور ، وإن قحوط المطرمن قضاء السوء وأئمة الجور .

● من وصاياه ●

● قال يوصى الخليفة بعده : « أوصى الخليفة بعدى بتقوى الله عز وجل ، وأوصيه بالمهاجرين الأولين أن يعلم لهم فيئهم ، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا ، أن يقبل من محسنهم، ويعفوا عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا فإنهم رداء الإسلام ، وحياة المال وغيظ العدو وألا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضا .

● وقال يوصى عثمان : اتق الله إن وليت شيئًا من أمور المسلمين فلا تحملن بنى أمية على رقاب المسلمين ..!!

● وقال لعلى : اتق الله إن وليت شيئًا من أمور المسلمين فلا تحملن بنى هاشم على رقاب المسلمين .

● وقال يوصى سعد والزبير : وأنتما فاتقيا الله إن وليتما من أمور المسلمين شيئًا !!

☆○□○☆

(١) مكان يسمى الجابية .

(٣)

عثمان بن عفان

رضي الله عنه

● نسبه ومولده ●

هوعثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

يجتمع مع الرسول ﷺ - فى عبد مناف - وهو أقرب العشرة نسبًا إلى الرسول بعدعلى .

● ولد فى السنة السادسة من عام الفيل ، وأسلم قديمًا ، وهو ممن دعاهم الصديق إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين[1].

● تزوج رقية بنت رسول الله قبل النبوة ، وماتت عنده فى ليالى غزوة بدر فتأخر عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله وضرب له بسهمه وآجره ، فهو معدود فى البدريين بذلك . وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوا رقية ، وزوجه رسول الله بعدها أختها أم كلثوم - وتوفيت سنة تسع من الهجرة[2] .

قال العلماء :

● ولا يعرف أحد تزوج بنتى بنى غيره ، ولذلك سمى « ذا النورين » .

● كان يُكنى فى الجاهلية أباعمرو ، فلما كان الإسلام ولدت له رقية عبد الله فاكتنى به .

● أمه : أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف .

● وأمها : أم الحكم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، توأمة أبى رسول الله ﷺ ، فأم عثمان عمة النبى[3] .

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - رجلاً ربعة ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، حسن الوجه أبيض مشربًا بحمرة ، كث اللحية ، بعيد ما بين المنكبين ، خدل الساقين ، طويل الذراعين ، شعره قد كسا ذراعيه ، أحسن الناس ثغرًا ، له جمة أسفل أذنيه ، يخضب لحيته بالصفرة ، وكان قد شدّ أسنانه بالذهب ، وكان محبًا فى قريش ، ففيه يقول قائلهم :

(١) تاريخ الخلفاء ١١٨ ط دار الكتب العلمية .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(أحبك الرحمٰن حب قريش لعثمان !)[1] ، قال عنه عبد الرحمٰن بن حاطب : (ما رأيت أحدًا من أصحاب رسول الله كان إذا حدّث أتم حديثًا ولا أحسن من عثمان إلا أنه كان يهاب الحديث) .

وقال عبد الله بن حزم المازنى :(رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط أحسن وجهًا منه) .

وقال موسى بن طلحة : (كان عثمان من أجمل الناس وجهًا وكان يتختم فى اليسار) .

● وكان – رضى الله عنه – تاجرًا فى الجاهلية والإسلام ، وكان يدفع ماله قراضًا .

● إسلامه ●

(.. فى الساعات الأولى التالية لشروق فجر الرسالة ، كان هناك نفرٌ كرام من صفوة البشر، وضع القدر عينه عليهم ليصطنع منهم الرعيل الأول فى الموكب الباهر الهادر الطويل الذى سيحمل عبر القرون كلمة الدين إلى الدنيا.. والذى سيحمل نور الله وهداه إلى الخلائق المزدحمة فى تيه ما له أول من آخر ، وماله من قرار[2]..!!

وحين تتقدم المقادير بنفسها لتختار وتصطفى ، فإنها تدع العقول فى حيرة من طريقتها ونهجها فى الاختيار .. فنجدها تختار السيد المتألق فى جبين قومه ، المتربع فوق ذرى المجد من عشائره ، إلى جوار العبد الرقيق الذى يُباع ويُشترىٰ ، ولا يملك من دنياه سوى السلاسل والأغلال ..![3] .

(.. إن القدر وهو يختار أبطاله من الجموع المزدحمة ، إنما يضع كلتا عينيه على الشخصية الباطنة لكل فردٍ ، حيث تكمن حقيقته ، وتبدو فى غير زخرف ولا زيف ولا تنكر . وعلى الشخصيات السوية التى يؤهلها طهرها ونبلها ، واستقامتها للاصطفاء ، كان القدر يضع وسامه ، معلنًا بذلك اختيار البطل لدوره .. على هذا المستوى ، وبهذا النهج ، تقدمت مقادير الإسلام لتختار له الجديرين بحمل دعوته فى فجره الغضّ ، وأيامه الباكرة ومن هؤلاء المصطفين ، كان « عثمان » ..!![4] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ١٧٦ .
(٢) خلفاء الرسول ٢٣٧ وما بعدها .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .

(وعثمان رجل نادته الأقدار ودعته من بين صفوف العلية والصفوة ، علية قريش وصفوة العرب ، ليأخذ مكانه مبكرًا بين الأوائل المبكرين فى موكب الهدى ودين الحق .. وحين تلقى إشارة ليتسلم دوره لم يتردد لحظة .. ومن تحت سقفه المرفوعة ، ومن فوق فرشه الموضوعة ، ومن بين مناعمه ،ودنياه الحافلة العريضة ، خرج حاملاً أعباء دوره الجديد ، مستقبلاً حياة المتاعب والتضحية والعطاء . وكان إسلامه وديعًا غضًا ، كأنفاس الزهر فى فجر الربيع !!

فلم يكد الصديق يهمس فى أذنه بنبأ الدعوة الجديدة .. حتى انفتح قلب الرجل السمح الحيى عن آخره)[1] .

قال ابن إسحاق :

(لما أسلم أبو بكر جعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه الزبير ، وعثمان ، وطلحة .. وغيرهم ، وقرأ عليهم القرآن فآمنوا به ، فأصبحوا مقرين بحق الإسلام ، فكان هؤلاء من السبعة الذين سبقوا إلى الإسلام فصلوا وصدقوا)[2] .

(.. وهكذا نزل عثمان إلى ميدان الدعوة بكل مخاطرها فى وقت تندر فيه النصرة ، ويعز النصير .. لقد ترك حياته المستقرة الممتلئة ، إلى فراغ المجهول تتهدده المحاذر والأخطار .. !!)[3] .

(وقد وضع خطاه على درب غير مطروق ، تاركًا الندى الذى كان يموج بالصحبة المؤنسة والحياة المرحة الحافلة ، ولا يطول به الوقت حتى تكون قريش قد شحذت أنيابها ، وراحت أحقادها تتلمظ بهذه العشيرة المؤمنة التى يقودها رسولها فى طريق الهدى والنور . ويتلقى عثمان من تلك الأحقاد الضارية ما يضاهى مكانته السابقة فى قومه . ويتولى أمر تعذيبه عمه - الحكم ابن أبى العاص - فيوثقه بالحبال وبالسلاسل ، ويصرخ فى وجهه فى حنق وغيظ .

أترغب عن ملة آبائك وأجدادك إلى دين محدث .. ؟؟ والله لا أحل وثاقك حتى تدع ما أنت عليه من الدين .

(١) خلفاء الرسول خالد محمد خالد ٢٣٨ وما بعدها .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٥٠ .

(٣) خلفاء الرسول ٢٣٩ .

فقال عثمان فى إصرار وتحدٍ واضح : والله لا أدعه أبدًا ولا أفارقه .. !!

ويتولى عمه تعذيبه .. ويوالى عثمان إصراره.. وتحاصره قريش كلها بازدراء مصطنع آملة أن تذل كبرياءه . وتهز كرامته .. لكنه كان قد نبذ وراءه عالمهم بكل مافيه من غرور وباطل .. وهكذا صمد عثمان للأذى . ونمت أعداد المسلمين الذين دخلوا فى دين الله . وتضرمت نيران قريش وأوغلت فى تعذيبها واضطهادها. ورأى الرسول الرحيم ألا قِبل لأكثر أصحابه بهذا الأذى فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، وكان عثمان أول مهاجر إليها ومعه زوجته رقية بنت الرسول ، وكان قد زوجها له بعد إسلامه)[1] .

● أخلاقه ومناقبه ●

كان - رضى الله عنه - كما رأينا - من السابقين الأولين للإسلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى ، وهو ثالث الخلفاء الراشدين ، وصاحب الفتوحات الإسلامية الخالدة ، وجامع الناس على المصحف الإمام .

ومنذ أسلم - رضى الله عنه - كانت صفاته وأخلاقه منارًا شامخًا يقتدى به . فقد مضى فى إيمانه قويًا هادئًا ، وديعًا صابرًا ، عفوًا كريمًا ، محسنًا ، رحيمًا .

● ومن أشهر أخلاق عثمان - تلك الصفة النبيلة التى زينه الله بها فكانت منبع الخير ومصدر العطف والرحمة على الرعية - وهى صفة الحياء ، وقد عظّم فيه رسول الله ﷺ هذه الخصلة وأثنى عليه ، عن عائشة قالت : (كان رسول الله مضطجعًا فى بيتى كاشفًا عن فخذيه - أو ساقيه - فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحالة ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه .. فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهش له ، ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ؟ فقال : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة)[2] .

(١) خلفاء الرسول ٢٤٧ .

(٢) الحديث فى صحيح مسلم برقم ٢٤٠١ .

● جود عثمان وسخاؤه ●

وكـان عثمـان– رضى الله عنـه – أجود الأمـة وأسخاهـا ، ولـه فى ذلك مـواقف مأثرة من مـآثر التاريخ الإسـلامى . على أن سخـاؤه كان خليقة من خلائقـه لا تكا ولا يستكثر فى بـاب المروءة ومواساة المسلمين شيئًا ، فقـد روى أنه كان له على طلحـ الله – وكان من أجـود الناس – خمسون ألفًـا ، فقال له طلحـة يومًـا : قد تهيأ مالك فـ فقال له عثمان : هو لك معونة على مروءتك [1] .

● ومن مآثر جوده وسخائه أنه اشترى بئر رومـة للمسلمين .. فعندما هاجر الـ وأصحابه إلى المدينـة ، لم يكادوا يستقرون بها حتى فاجأتهم مشكلـة الماء ، وكان لرجل غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع القربة بمـدٍ فقال له النبى ﷺ بِعينِها بعين فى الجـ يا رسول الله ليس لى ولعيالى غيرها ، فبلغ ذلك عثمان فاشتراها .. ثم أتى النبى فقال :

أتجعل لى ما جعلت له ؟ قال : نعم ، فقال عثمان : قد اشتريتها وجعلتها للمسـ

(وعندما فتح الله مكة لنبيه ، وعاد إليها ظافرًا كريمًا .. رأى أن يوسع فى المسجـ فعرض على أصحاب بيت مـلاصق للمسجد أن يتبرعوا لغرض توسعة المسجـد فاعتـ لا يملكون غيره ، وليس لهم مال يشترون به سواه .

ومرة ثانية – كان هناك عثمان – لم يكد النبأ يبلغ مسامعه ، حتى سارع إلى صا- واشتراها منه بعشرة آلاف دينار)[3] .

(وفى العام التـاسع الهجرى – ولى هـرقل وجهه المتـآمر صوب الجزيـرة العربيـ برغبـة شريرة فى العدوان عليهـا والتهامها .. وأمر قـواته بالاستعـداد وانتظار أمره بـ وترامت الأنباء إلى الرسول ﷺ فنادى فى أصحابـه بالتهيؤ للجهاد . وكان الصيف ـ الجبال ، وكـانت البلاد تعانى الجدب والعسرة .. فإن قاوم المسلمـون بإيمانهم وطأة ا- وخـرجوا إلى الجهـاد فوق الصحـراء الملتهبة المتأججـة ، فمن أين لهـم العتاد ، والنفقة يتطلبها الجهاد ..؟

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢١٦ .

(٢) ابن حجر فى الفتح ٣/ ٩٧٠ ، ٥/ ٤٧٨.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢١٦ .

لقد حض الرسول على التبرع ، فأعطى كلُّ قدر وسعه ، وسارعت النساء بالحلى يقدمنه إلى رسول الله ﷺ يستعين به فى إعداد الجيش .. بَيْد أن التبرعات جميعها لم تكن لتغنى كثيرًا أمام المتطلبات للجيش الكبير .. ونظر الرسول ﷺ إلى الصفوف الطويلة العريضة من الذين تهيأوا للقتال وقال : (من يجهز هؤلاء ، ويغفر الله له) ؟ وما كاد عثمان يسمع نداء الرسول ﷺ هذا حتى سارع إلى مغفرة من الله ورضوان . وهكذا وجدت العسرة الضاغطة « عثمانها » المعطاء)[1] وقام – رضى الله عنه – بتجهيز الجيش كله ، حتى لم يتركه بحاجة إلى خطام أو عقال .

يقول ابن شهاب الزهرى :

(قدّم عثمان لجيش العسرة فى غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيرًا ، وستين فرسًا أتم بها الألف ، وجاء عثمان إلى رسول الله فى جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صبها بين يديه ، فجعل الرسول يقلبها بيده ويقول : (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين)[2] .

يقول عبد الرحمٰن بن عوف : شهدت رسول الله ﷺ وقد جاءه عثمان فى جيش العسرة بسبعمائة أوقية من الذهب .

(إنه يبدو وكأنه الممول الوحيد للأمة الجديدة !! . ومضى الرسول ﷺ على رأس جيشه حتى وصلوا موطنًا يُدعى تبوك فى منتصف الطريق بين المدينة ودمشق .. وهناك جاءته الأنباء مبشرة بأن هرقل الذى كان يعد العدة للزحف من دمشق ، قد ثلم الله عزمه ، وغادر دمشق نافضًا يديه من محاولته اليائسة بعد أن علم بخروج النبى وأصحابه إليه . ورجع الجيش بكل عتاده الذى أمده به عثمان .. فهل استرجع من ذلك شيئًا ..؟

كلا .. وحشاه أن يفعل .. وقد ظل كما كان دومًا سريع التلبية لكل إيماءة من النبى ﷺ تعنى جديدًا من البذل ، ومزيدًا من العطاء)[3] .

ولقد كان الصحابة يعرفون لعثمان فضله وسابقته وبلائه ،عن أبى حازم قال :

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى فتح البارى ٧/ ٦٧ ، وانظر خلفاء الرسول ٢٥٠ .

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٢٠ وانظر خلفاء الرسول ٢٥١ .

(٣) خلفاء الرسول ٢٥١ ومابعدها .

(كنت عند عبد الله بن عمر فذكر عثمان فذكر فضله ، ومناقبه ، وقرابته حتى تركه أنقى من الزجاجة ،ثم ذكر علي فذكر فضله ، ومناقبه ، وقرابته حتى تركه أنقى من الزجاجة ، ثم قال: منْ أراد أن يذكر هذين فليذكرهما هكذا أو فليدع)[1] .

● ومن مناقبه :

أنه كان سمحًا فى بيعه وشرائه ، سهلاً فى تعامله مع الناس ،.فلقد ابتاع حائطًا من رجل فساومه حتى قاومه على الثمن الذى رضى به البائع فقال : أرنا يدك . فقال الرجل: لا أبيعك حتى تزدنى عشرة آلاف ، فالتفت عثمان إلى عبد الرحمٰن بن عوف فقال : قال رسول الله ﷺ : (أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً ، بائعًا ومشتريًا)[2] . اذهب فقد زدتك العشرة آلاف لاستوجب بها الكلمة التى سمعتها من رسول الله ﷺ .

● ومن مناقبه : (أنه ممن صلى القبلتين ، وهاجر الهجرتين ، وقُتل مظلومًا فأوتى من الأجر كفلين كان يسمى اللين الرحيم ، المتعفف العفيف ، أمير البررة ، خير الخيرة ، وقتيل الفجرة ، سُل سيف الفتنة بقتله ولم يُحمد بعد.. كانت الخيل البلق فى أيامه مشهودة ، فلما قتل عثمان صارت مفقودة)[3] .

● ومن مناقبه ما رواه أهل السِّير من أنه حدث قحط فى زمان أبى بكر فقال الخليفة لهم : إن شاء الله لا تمسون غدًا ، حتى يأتيكم فرج الله . فلما كان الصباح قدمت قافلة لعثمان ، فغدا عليه التجار ، وسألوه أن يبيعهم قافلته ، فسألهم : كم تربحوننى ؟ قالوا : العشرة اثنى عشرة ، قال : قد زادنى .. قالوا : فالعشرة خمسة عشرة ، قال : قد زادنى ، قالوا : من الذى زادك، ونحن تجار المدينة ؟ قال : إنه الله .. زادنى بكل درهم عشرًا ، فهل لديكم أنتم مزيد ؟ فانصرف التجار عنه ، وهو ينادى : اللهم إنى وهبتها فقراء المدينة بلا ثمن وبلا حساب !!

(.. وهكذا كانت شخصية عثمان – رضى الله عنه – أعظم مظهر للإنسانية النبيلة فى أسمى جوانبها، وأصفى خصائصها .. وهكذا تلاءمت هذه الشخصية الكريمة بمقوماتها الفذة مع روح الإسلام الجياشة بعواطف البر والرحمة فتفتحت لها القلوب العارفة بقدر الرجال.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩/ ٤٩٩ .

(٢) تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٣١ والحديث فى صحيح سنن ابن ماجه برقم ١٧٨٩ .

(٣) معرفة الصحابة ١/ ٢٤٢ وما بعدها .

وأحب المسلمون عثمان حبًا لم يظفر بـه إلا آحاد الناس فى فترات التاريخ . ولم يبغض عثمان إلا منافق خبيث الطوية ، أو جاهل لم يعرف قدره ومكانته)[1] .

● زهده وتواضعه ●

(.. وتتألق روح العابد الأواب على الزهد والبساطة ، فكثيرًا ما كان يطبقها على حياته وهو الذى تتدفق عليه الأموال ، وينفقها باليمين وبالشمال .. فقد كان يطعم الناس طعام الإمارة ، ويأكل هو الخل والزيت)[2] ، ودُعيا عمر وعثمان إلى طعام فلما خرجا قال عثمان لعمر : قد شهدنا طعامًا لوددنا أنا لم نشهده ، قال عمر : لِـمَ قال عثمان : إنى أخاف أن يكون قد صنع مباهاة .

● وعن عبد الله بن شداد قال : رأيت عثمان يخطب يوم الجمعة وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم..وإنه يومئذ لأمير المؤمنين !!

(.. هذا سلوك عابدٍ أواب ، أضوى شهوة الطعام لديه حتى بشمت[3] بالصيام . وأذل نخوة الجاهلية فى عروقه . حتى عزت نفسه بروعةالإسلام ومن أى النواحى جئته ، ألقيت جلال العابد يبهر محياك ..) .

● يغضب يومًا على خادم له فيُفرك أذنه حتى يوجعه.. ثم سرعان ما يقضُّ ضمير العابد مضجعه ، فيدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه فيفرك أذنه .. ويأبى الخادم ويولى مدبرًا . لكنّ عثمان يأمره فى حزم فيطع اشدد ياغلام ، فإنّ قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة ، إنه العابد الأواب كما نلْقاه فى كل مقام ..)[4] .

(.. وندخل معه مسجد المدينة ، فنرى رجلاً أثر الحصا فى جنبه.. إنه العابد الزاهدعثمان ابن عفان ..

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة د/ محمد أمحزون ٢/ ٣٩١ .

(٢) أحمد فى الزهد ١٦٠ ، وانظر خلفاء الرسول ٢٥٥ وما بعدها .

(٣) راجع لسان العرب ١٢/ ٥٠ مادة بشم . وانظر خلفاء الرسول ٢٥٩ .

(٤) خلفاء الرسول ٢٥٩ .

● فعن الحسن أنه سُئل عن القائلين فى المسجد قال : (رأيت عثمان يُقيل فى المسجد ، وهو يومئذ خليفة ، ويقوم وأثر الحصباء فى جنبه قال : فيقال هذا أمير المؤمنين ، هذا أمير المؤمنين)[1] .

(.. ورؤى عثمان على بغلة وخلفه عليها غلامه نائل وهو خليفة .. ومن التصرفات اليسيرة إلى التصرفات التى ترتبط بالمصير ويتوقف عليها أمر الحياة والموت ، فعثمان الذى ينهض من الليل - وهو خليفة - فيرفض أن يوقظ أحدًا من خدمه كى يعد له وضوءه ، ويتحامل على شيخوخته المجهدة فى إحضار الماء واسباغ الوضوء . عن عبد الله الرومى قال : (كان عثمان - رحمه الله - إذا قام من الليل وأخذ وضوءه ، قال : فقال له أهله : ألا تأمر الخدم يعطونك وضوءك ؟ قال : لا ، إن النوم لهم يستريحون فيه)[2] .

● خلافته ●

(.. أبى أمير المؤمنين « عمر » وهو يجود بأنفاسه الطاهرة أن يستخلف أحدًا وحين ألحّ عليه بعض أصحابه كى يختار بنفسه من يخلفه استمسك بإبائه ورفضه وقال لهم : « أحمل أمركم حيًا وميتًا .. ؟ وددت أن يكون حظى منكم الكفاف لا علىّ ولا لى .. ألا إنى إن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى - يقصد أبا بكر - وإن أترك ، فقد ترك من هو خير منى - يعنى رسول الله - والله حافظ دينه !!

وَوَلّى روحه الضارعة شطر الله الرحيم العليم ، يسأله أن يلهمه الرشد ، وأسبل جفنيه وأعمل فكره .. وعلى الفور لاح له من الله نور ، وكأنها تذكر ذلك اليوم البعيد القريب ، وقد أرهفوا السمع لرسولهم الكريم يعظهم ويناديهم قبل وفاته بأيام : أيها الناس : إن أبا بكر لم يسؤنى قط ، فاعرفوا ذلك له .. أيها الناس إنى راضٍ عن عمر ، وعلى ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن مالك ، وعبد الرحمٰن بن عوف ، والمهاجرين ، فاعرفوا لهم ذلك .. على وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمٰن بن عوف .. ما أجملها من ذكرى تعود الآن فى أوانها[3] .. فليكن لهؤلاء الستة عاقبة الأمر الذى يشغل الأمير المحتضر .. وليضع فى أعناقهم

---

(١) أحمد فى الزهد ١٥٨ وانظر خلفاء الرسول ٢٦٠.

(٢) المصدر السابق .

(٣) خلفاء الرسول ٢٦١ وما بعدها .

مجتمعين ، الأمانة التى حملها طوال سنى خلافته .. وهكذا جمعهم حوله ، ووجه إليهم الحديث :

.. إنى نظرت فوجدتكم القادة .. ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وقد قُبض رسول الله وهو عنكم راضٍ ، وإنى لا أخاف الناس عليكم ، ما استقمتم فإذا أنا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، ولا يأت اليوم الرابع إلا عليكم أمير منكم ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية .. فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمٰن ابن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، قال الزبير قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمٰن . فقال عبد الرحمٰن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه ، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه؟ فأسكت الشيخان .فقال عبد الرحمٰن: أفتجعلونه إلىّ والله علىّ أن لا ألو عن أفضلكم ؟ قالا : نعم ، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله والقدم فى الإسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمّرتُك لتَعدلنّ ، ولئن أمّرت عثمان لَتَسْمعَنّ ولَتُطيعنّ . ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايع له على ، وولج أهل الدار فبايعوه[1] .

(.. وهكذا حُمل « عثمان » أثقال الخلافة .. حملها وهو على وشك أن يستقبل السبعين من عمره .. ترى هل كان بها حفيًا ، وعليها حريصًا ؟ .. إن سن السبعين ، فيما نعلم ، ليست السن المناسبة للطموح ، فكيف وصاحب هذه السن رجل يسيطر الحياء على حياته ، والحياء يدفع أصحابه دائمًا إلى الظلال .

أغلب الظن أن « عثمان » تلقى البيعة وهو يرتجف ، ولعل ما يشير إلى هذا المعنى أنه بعد تلقيه البيعة من أهل الشورى توجه إلى المنبر وعلى مُحيّاه اكتئاب .. ولعل هذه الخشية من عظم المسئولية هى التى أمسكت لسانه عن الافاضة فى أول خطبة ألقاها . فاكتفى بأن حذر الناس من الدنيا وغرورها ، ورغبهم فى الآخرة وحبورها ..)[2] .

ولقد كانت بيعة عثمان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين .

---

(١) البخارى ٣٧٠٠ وهو جزء من حديث طويل ، وانظر خلفاء الرسول ٢٦١ وما بعدها .

(٢) خلفاء الرسول ٢٧٣ .

● حدث فى خلافته ●

استقبل عثمان بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين ، وفى هذه السنة فتحت الرّى ، وكانت فتحت وانتقضت ، وفيها أصاب الناس رُعاف كثير ، فقيل لها سنة الرعاف وأصاب عثمان رعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى . وفيها فتح من الروم حصون كثيرة ، وفيها ولى عثمان الكوفة سعد بن أبى وقاص وعزل المغيرة .

● **و فى سنة خمس وعشرين** : عزل عثمان سعدًا عن الكوفة ، وولى الوليد بن عقبة ، وهو صحابى ، أخو عثمان لأمه .

● **و فى سنة ست وعشرين** : زاد عثمان فى المسجد الحرام ووسعه ، واشترى أماكن للزيادة ، وفيها فتحت سابور .

● **و فى سنة سبع وعشرين** : غزا معاوية قبرص ، فركب البحر بالجيوش ، وكان معهم عبادة بن الصامت وزوجته - أم حرام بنت ملحان - فسقطت عن دابتها فماتت شهيدة هناك - وكان الرسول ﷺ أخبرها بهذا الجيش ودعا لها بأن تكون منهم فدفنت بقبرص - وفى هذه السنة عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عبد الله بن سعدبن أبى سرح ، فغزا أفريقية فافتتحها سهلاً وجبلاً ، فأصاب كل إنسان من الجيش ألف دينار ، ثم فتحت الأندلس فى هذا العام .

● **و فى سنة تسع وعشرين** : فتحت إصطخر ، وفيها زادعثمان فى مسجد المدينة ووسعه ، وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عُمده من حجارة وسقفُه بالساج وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين مائة .

● **و فى سنة ثلاثين** : فتحت جور وبلاد كثيرة من أرض خراسان ، وفتحت نيسابور صلحًا وقيل عنوة ، وطوس ، ومرخس ومرو ، وبيهق ، ولما فتحت هذه البلاد الواسعة كثر الخراج على عثمان ، وأتاه المال من كل جهة ، حتى اتخذ له الخزائن وأدرّ الأرزاق ، وكان يأمر للرجل بمائة ألف بدرة فى كل بدرة أربعة آلاف أوقية .

● **و فى سنة إحدى وثلاثين** : توفى أبو سفيان بن حرب والد معاوية ، وفيها مات الحكم بن أبى العاص عم عثمان .

● **وفى سنة اثنتين وثلاثين :** توفى العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وصلى عليه عثمان ، وفيها توفى عبد الرحمن بن عوف ، وفيها مات عبد الله بن مسعود الهذلى أحد القراء الأربعة ، وفيها مات أبو الدرداء الخزرجى ، وولى قضاء دمشق لمعاوية ، وفيها مات أبو ذر جندب بن جنادة الغفارى ، وفيها مات زيد بن عبد الله بن عبد ربه الأنصارى الذى أُرِىَ الأذان .

● **وفى سنة ثلاث وثلاثين :** توفى المقداد بن الأسود فى أرضه بالجرف ، وحمل إلى المدينة وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح الحبشة .

● **وفى سنة أربع وثلاثين :** أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص ورضوا بأبى موسى الأشعرى .

● **وفى سنة خمس وثلاثين :** كان مقتل عثمان !!!

● من أقواله وكلماته الخالدة ●

● لقد كان - رضى الله عنه - يحمل إشفاقًا من الآخرة فنراه يقول : اتقوا الله . فإن تقوى الله غنم - وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واكتسب من نور الله نورًا لقبره .. وليخش عبدُ أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيرًا .

● وعن سفيان بن عيينه قال : قال عثمان : لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله عز وجل . وكان يقول ... وما أحب أن يأتى علىّ يوم ولا ليله إلا وأنظر فى الله يعنى القراءة فى المصحف .

● الفتنة الكبرى ومقتل عثمان ●

ما كنت أحب الخوض فى هذا الموضوع .. فهو موضوع صعب وشائك .. وقد زلت فى الكتابةعنه أقلام وأقلام ، واختلط الصحيح بالسقيم ، والغث بالسمين ، وباتت حقيقة هذه الفتنة غائبة عن بال الكثيرين !

(.. فالفتنة التى انتهت باستشهاد الخليفة « عثمان » كانت فتنة هوجاء ، فاقت فى ضراوتها ما كان قبلها ، فالخليفة لا يقتل فى الغلس ، كما كان الأمر مع عمر ، وإنما يقتل فى وضح النهار ، ثم تعصف الفتنة بالمسلمين مرة أخرى فتبلغ غايتها فى معركتى « الجمل » و « صفين » وأخيرًا يستشهد أمير المؤمنين علىّ كما استشهد الخليفتان قبله)(١).

فالموضوع قد تناولته أقلام من شتى المشارب - كما سبق - واستغلت تلك الأحداث للطعن فى الإسلام والنيل من أعراض الصحابة الكرام .. فإذا كان ذلك كذلك ، بان لنا أن الحديث فى هذا الوضوع من الصعوبة بمكان حقًا !!

ولنبدأ من البداية(*) :

الاتهامات التى وجهت إلى عثمان - رضى الله عنه :

لقد وجهت إليه عدة اتهامات(٢) زورًا واستغل مثيرى الفتنة هذه الاتهامات للتشهير بالإمام والنيل منه ، ومن هذه الاتهامات :

١ - اتهامه بأنه حمى الحمى ، وأمر باحراق المصاحف ، وجمع القرآن فى مصحف واحد .

(.. **أما الاتهام الموجه إليه بأنه حمى الحمى** ، فيقول عثمان : وإنى والله ما حميت حمى قبلى ومالى من بعير غير راحلتى ، وما لى ثاغية ولا راغية ، وإنى قد وليت وأنا أكثر العرب بعيرًا وشاة، فما لى اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجى(٣) . ويقول الإمام على : أما الحمى فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن ، ولم يحمه لإبله ولا غنمه وقد حما عمر قبله)(٤).

(وفى عهد رسول الله ﷺ كان الحمى ، .. وإذا كان رسول الله قد حمى والدولة لا تزال ناشئة ، فمن المعلوم أن يكون أبو بكر قد حمى ، سيما وقد زادت الحاجة إلى الخيل والإبل ، ولأن

(١) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام / سليمان العودة ٥ ، ٦ .

(*) فى حديثنا عن الفتنة الكبرى ومقتل عثمان رجعنا إلى كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام ونقلنا منه كثيرًا من النصوص وهذا للأمانة العلمية والحقيقة أن الكتاب جدير بالقراءة والاقتناء .

(٢) تبلغ هذه الاتهامات ثمانية عشر اتهامًا ، راجع ذلك فى العواصم من القواصم ٥٦ . وما أثبتته منقول عن كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام د/ العودة .

(٣) الطبرى ٤/ ٣٤٧ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ ١١٧ .

(٤) البداية والنهاية ٧/ ١٨٧ .

أبا بكر لم يخرج عن شيء كان الحال عليه زمن النبى ﷺ. إذن فلم يكن عثمان أول من حمى، أما زيادته فيه فهو أمر جائز، لأن ما جاز أصله للحاجة، جازت الزيادةعليه لحاجتها)[١].

(.. **أما الاتهام الموجه بأنه أمر بإحراق المصاحف وجمع الناس على مصحف واحد** .. فالذى حرّق عثمان ما وقع فيه الاختلاف، أما المتفق عليه، فقد أبقاه لهم، ولم يثبت عن عثمان أنه حرّق غير ذلك من المصاحف)[٢].

(على أن العلماء العارفين اعتبروا من جمع عثمان للقرآن فى مصحف واحد منقبة كبرى تضاف إلى مناقبه الأخرى[٣]، وفوق هذا لم يكن هذا العمل من عثمان تصرفًا فرديًا، بل كان رأى كثير من الصحابة، فكان علىّ يقول - أيها الناس - : إياكم والغلو فى عثمان تقولون حرّق المصاحف والله ماحرّقها إلا عن ملاءٍ من الصحابة ولو وليت مثل ما ولى لفعلت مثل الذى فعل)[٤].

٢ - الاتهام الموجه إليه بأنه استعمل الأحداث وولى أقاربه[*]:

(وهذا الاتهام أيضًا ليس له ما يبرره، وها هو عثمان يقول : ولم أستعمل إلا مجتمعًا محتملاً مرضيًا، وهؤلاء أهل علم فسلوهم عنه، وهؤلاء أهل بلدة، ولقد ولى من قبلى أحدث منهم، وقيل فى ذلك لرسول الله أشد ما قيل فى استعماله أسامة ..)[٥]، ويقول علىّ : لم يول إلا رجلاً عدلاً، وقدولى رسول الله عتّاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة[٦].

(وإن كان من صلب المأخذ عليه فى توليه أقاربه أو فى غيرهم، فلم يكن عثمان أول من ولّى أقاربه، وقد قال علىّ : إنّ رسول الله يؤثر قريشًا على الناس، ومن بعد ولى علىّ أقاربه من قِبل أبيه وأمه، وإذن فليس هناك من متعلق على عثمان فى توليه من ولى دون أن يثبت فسقهم،

---

(١) العواصم من القواصم ٨٤، ٨٥.
(٢) التمهيد للباقلانى ١٢٠ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١١٨ .
(٣) العواصم ٨٠، ٨١ .
(٤) البداية ٧/ ٢٣٦ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ ١١٩ .
(*) منقول بنصه عن كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٩٩ .
(٥) نفسه .
(٦) نفسه .

وإقرار عثمان لهم على الفسق ، كيف وقد كانوا أهل نجدة وكفاية وبصر بالإمرة وقدرة عليها !!)[1] .

٣ - اتهامه بأنه ضرب عمار حتى فتق أمعاءه ، ولابن بن مسعود حتى كسر أضلاعه ونفيه أبا ذر إلى الربذة[*] :

فقد قال ابن العربى المالكى فى العواصم : (إن ذلك إفك وزور ، وإنه لا ينبغى للعلماء أن يشغلوا أنفسهم ببعض المعاذير المبنية على الباطل ، لأن فى ذلك إذهابًا للزمان فى مجاراة الجهال ..) .

ولنا أن نقف وقفة ونتساءل : كيف يتسنى لعمار أن يعيش وقد فتقت أمعاءه وكذا ابن مسعود بعد أن كسرت أضلاعه - كما زعموا - إن هذه الأخبار لا تثبت فهى مروية عن طريق أبى مخنف لوط بن يحى وهو شيعى محترق تالف !![2] . وأما ما وجه إليه من اتهام بأنه نفى أبا ذر إلى الربذة فهذا اتهام باطل ولا أساس له من الصحة ، وإنما رغب فى النزول إلى الربذة بنفسه ، فقد استأذن من عثمان فى الخروج إلى الربذة لأن رسول الله ﷺ أوصاه إذا بلغ البناء سلعًا أن يخرج من المدينة فأجاب عثمان إلى ذلك ، وأقطعه صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين ، وأرسل إليه ألا ينقطع عن المدينة فيعود وأعرابيًا ففعل[3] .

قال ابن سيرين : (خرج أبو ذر إلى الربذة من قِبل نفسه لما رأى عثمان لا ينزع إليه)[4] ، ولقد كان يحب الخلوة والوحدة كما يقول ابن عباس ، وبعد أن نقل الطبرى هذه الأخبار التى تفيد اعتزال أبى ذر بنفسه قال : (وأما الآخرون فإنهم رووا فى ذلك أشياء كثيرة من أمور شنيعة كرهت ذكرها)[5] .

---

(١) التمهيد ٢٢٤ نقلاً عن كتاب عبد الله سبأ ١٢٥ .

(*) منقول عن كتاب عبد الله بن سبأ ١٢٦ .

(٢) عبد الله بن سبأ ص ١٢٩ .

(٣) الطبرى ٤/ ٢٨٤ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ / العودة ١٢٩.

(٤) الطبرى ٤/ ٢٨٤ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى إحداث الفتنة ١٢٩ .

(٥) نفسه .

وقال ابن الأثير(١) : إن ما نسب إلى عثمان فى ذلك - تسيير أبى ذر - لا يصح النقل به ، ولو صح لكان ينبغى أن يعتذر لعثمان .

ويقول صاحب التمهيد(٢) : (.. بل هو من أكاذيب الرافضة قبحهم الله (هذه أبرز الاتهامات التى نسبت إلى عثمان ، وقد أجاب على بعضها عثمان وفند بعضها من عايش عثمان من الصحابة ، والبعض الآخر لا يصح نقله ولا يستقيم إسناده ، بل إن المتأمل فيهالا يجد فيها اتفاقًا للصحابة أو للتابعين ، وإنما صدرت من طوائف لا تميل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ويمكن القول بأن الاتهامات تولى إشاعتها جماعة مشبوهين كابن سبأ وأتباعه ثم استغلت إبان هيجان الفتنة لصالح الموتورين(٣) .

جاء فى تاريخ الطبرى :أن قومًا قالوا :نريد أن نذكر لعثمان أشياء قد زرعناها فى قلوب الناس ثم نرجع إليهم فنزعم أنا قررناه بها فلم يخرج منها ولم يتب .

● بوادر الخلاف وسياسة عثمان إزائه(٤) ●

(لئن كانت هذه الاتهامات التى - قدمنا بعضًا منها - لم تكن لتبلغ غايتها فى التأثير فى طبقة الصحابة ، فقد وجدت آذانًا صاغية ، وحركت فئات من الناس اجتمعت لديها مع رغبات النفس ، مؤشرات أثارتها ، وتمخضت عن بوادر خلاف سادت معظم أقاليم الخلافة ، ولم تكن هذه البوادر كلها نتيجة لهذه المآخذ ، بل كان منها ما كانت تدفعه عوامل طبيعية ، ويذكر بجانبه أسباب معروفة . فماذا كان من ذلك ؟

١ - من بوادر الخلافة فى الكوفة(٥) :

(وهى أول مصر نزع الشيطان بين أهله - فى الإسلام - فمن ذلك ما وقع بين عبد الله ابن مسعود وسعد بن أبى وقاص - رضى الله عنهما- حينما طلب ابن مسعود من سعد أن يؤدى

(١) الكامل ٣/ ١١٤ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ ١٣٠
(٢) التمهيد ٣٠ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ ١٣٠ .
(٣) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٣٠ .
(٤) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٣٢ .
(٥) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٣٢ .

ما اقترضه من بيت المال ، وحين لم يتيسر له قضاؤه فتقاولا ووقعت بينهما خصومة وصل خبرها إلى عثمان فعزل سعدًا – وكان على الكوفة – وولى مكانه الوليد بن عقبة ٣٠هـ ، وأثناء ولاية الوليد على الكوفة نقّب شباب من أهل الكوفة على (الحيسان الخزاعى) ، وكان ذا ثروة ثم قتلوه .. ورفع الوليد أمرهم إلى عثمان فأمره بقتلهم فقتلوا)[1].

(وبعد الوليد ولىَّ عثمان على الكوفة سعيد بن العاص – فهل فترت حدة الخلاف ؟! جلس سعيد بن العاص يومًا ، فدخل عليهم جمع فيهم الأشتر النخعى وابن ذى الحبكة وعمرو بن الحمق الخزاعى ، وفيهم خنيس بن حبيش وابنه عبد الرحمٰن وغيرهم ، وبينما هم يتحدثون قال خنيس ما أجود طلحة بن عبيد الله ! فقال سعيد : إن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جوادًا – يعنى ما كان لآل كسرى على جانب الفرات – فثار عليه القوم الأشتر ومن معه ، وقالوا : فض فوك والله لقد هممنا بك ، فقال أبوه : لا يتمنى لنا ولا له ، ثم قالوا: أنت أمرته بذلك وثاروا إليه ، فحاول أبوه منعهم ، فضربوهما حتى غشى عليهما ، وتأثر للحادثة أهل الكوفة عامة وبنو أسد خاصة ، وكتب أشرافها إلى عثمان باخراجهم ، فكتب إليهم أن إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية فى الشام ، وكتب إلى معاوية : إنّ أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرًا خلقوا للفتنة فارعهم وقم عليهم ، فإذا آنست منهم رشدًا فاقبل منهم وإن أعيوك فارددهم عليهم)[2].

٢ - بوادر الخلاف فى الشام[3] :

(وفى الشام لم يكن هناك من خلاف يصل إلى مستوى ما وصل إليه الأمر فى الكوفة .. والذى يذكر هنا من بوادر الخلاف بين ما كان من أبى ذر ومعاوية ، وهو أمر يختلف فى طبيعته وأسبابه عن غيره .. يقول أبو ذر :

كنت بالشام فاختلف أنا ومعاوية فى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ .. [جزء من آية التوبة رقم ٣٤] . فقال معاوية : نزلت فى أهل الكتاب ، فقلت – أى أبو ذر : نزلت فينا وفيهم ، فكان بينى وبينه فى ذلك ، وكتب إلى عثمان يشكونى .

(١) نفسه .

(٢) الطبرى ٤/ ٣١٨ نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ ١٣٦ .

(٣) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٣٩ .

(وهكذا يتضح أن أسباب الاختلاف إنما كانت نتيجة اختلاف الفهم حول مدلولات النص ، ولم تكن تدفعها الرغبات الشخصية ، أو التهيؤ للفتنة .. أما موقف عثمان وقد آل الأمر إليه ، فهو يكتب إلى أبى ذر بالقدوم عليه ، وحينما قدم لم يحنق عليه من مخالفته له فى تأويله ولم يلزمه بالخروج إلى الربذة أو إنما غاية ما . قاله : إن شئت تنحيت فكنت قريبًا .. وهذه التنحية لا تعنى تسيير أبى ذر إلى الربذة بقدر ما تعنى توخى عثمان صالح الأمة ، وألا يستغل موتور صدق لهجة أبى ذر فيسعى بالفتنة، ومما يؤكد هذا ما ذكره البلاذرى[١] أن عثمان قال لأبى ذر حين قدم من الشام : قربنا يا أبا ذر خير لك من بعدنا يغدى عليك باللقاح ويراح ،فقال : لا حاجة لى فى دنياكم ، ولكن آتى الربذة فأذن له فى ذلك فأتاها ومات بها[٢] وقد أنكر سعيد بن المسيب على من قال أن عثمان أخرج أبا ذر إلى الربذة ، وقال إنما خرج إليها أبو ذر راغبًا فى سكناها ، ويكفى أن يسجل التاريخ لأبى ذر امتثاله لأمر الخليفة وعامله وهو يرد على الذين حاولوا إيقاع الفتنة بينه وبين الخليفة ، حين قالوا له : فعل هذا الرجل ما فعل - يعنون عثمان - فهل أنت ناصب لنا راية فتجتمع إليك الرجال فيردعليهم أبو ذر : لو أن عثمان صلبنى على أطول جذع لسمعت وأطعت واحتسبت وصبرت ، فإنه من أذل السلطان فلا توبة له فرجعوا[٣] .

٣ - بوادر الخلاف فى مصر[٤] :

(وهنا يذكر ماحصل من محمد بن أبى حذيفة وما دعاه إلى الخروج على عثمان ، فقد سئل سعيد بن المسيب عن ذلك فقال:

كان محمد بن أبى حذيفة يتيمًا فى حجر عثمان ، ثم سأل الولاية - حين ولى الخلافة - فأجاب عثمان : أن لست هناك فما احتملها ، وطلب منه الاذن بالخروج فأذن له بالذهاب حيث شاء وجهزه من عنده ، فلما وقع فى مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية وصار من أشد الناس تأليبًا على عثمان[٥] .

(١) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٣٩ .
(٢) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٣٩ .
(٣)عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٣٩ .
(٤) عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٣٩ .
(٥) الكامل ٣/ ١٨١نقلاً عن كتاب عبد الله بن سبأ ١٤٢ .

● عبد الله بن سبأ وأثره فى إذكاء الفتنة[1] ●

(هكذا كان الحال فى الدولة الإسلامية إبان خلافة عثمان إلى أن جاء دور عبد الله بن سبأ وكان له أكبر الأثر فى الفتنة التى نعانى منها حتى الآن ، ولكن من هو عبد الله بن سبأ ؟

كان عبد الله بن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء ، أمه سوداء - فأسلم زمن عثمان - ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم ، وبدأ نفثاته المسمومة بهذه العبارة : « إن لكل نبيًا وصيًا ، وإن عليًا وصى رسول الله ﷺ ولقد وثب عثمان على أمر هذه الأمة ، وأخذ الحق من صاحبه ، وخلال رحلاته إلى مصر والتى استقر بها طويلاً اصطفى من المفتونين به أنصارًا وحواريين ، أطلقهم هم الآخرين ليطوحوا بفتنته فى الآفاق ، ورسم لهم منهجهم فى هذه الكلمات : تظاهروا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس إليكم .. وابدأو بالطعن فى أمرائكم وقولوا للناس إن عثمان قد أخذ الخلافة بغير حق .. وإن عليًا وصى رسول الله ، فانهضوا وردوا الحق إلى صاحبه فبث دعاته وكاتب من استفسد فى الأمصار وكاتبوه ، ودعوا فى السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم ، حتى تناولوابذلك المدينة ، وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غير مايظهرون ويسرون غير ما يبدون فيقول أهل كل مصر إنا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار ، فقالوا إنا لفى عافية مما فيه الناس .. فأتوا عثمان فقالوا : ياأمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذى يأتينا ؟ قال : لا ، والله ماجاءنى إلا السلامة . قالوا : إنا قد آتانا ، وأخبروه بالذى أسقطوا إليهم ، قال : فأنتم شركائى وشهود المؤمنين أشيروا علىّ ، وقالوا نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم ففعل ..[2] .

---

(١) منقول بنصه من كتاب عبد الله بن سبأ ١٤٢ .

(٢) منقولة من كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة بتصرف .

● تصاعد الفتنة ومقتل عثمان[1] ●

(إن بوادر الخلاف التى نجمت ، ومجمل عوامل الفتنة التى نشأت كانت بمثابة فتيل ، جاء ابن سبأ وأعوانه ليشعلوه ، ودخلت سنة ٣٤هـ ، وهى السنة التى تكاتب فيها المنحرفون عن عثمان لمناظرته ..وتكاثفت الأحداث ، فالكوفة تخلو من الرؤساء إلا منزوعًا أو مفتونًا، ويخرج منها يزيد بن قيس فيدخل المسجد مناديًا بخلع عثمان ويثوب إليه أصحابه.. ممن كان ابن السوداء يكاتبهم، وينكر العارفون من أهل الكوفة عليهم ، ويحدد القعقاع بن عمرو تحجيم فتنتهم : هيهات هيهات ، لا والله لا تسكن الغوغاء إلا المشرفية ؛ .

وفى مصر – وربما غيرها – تزور الكتب على ألسنة الصحابة بقتل عثمان[2] ، وسارت الفتنة فى أقاليم الخلافة سريان النار فى الهشيم ، وكتب عثمان إلى أهل الأمصار ، فهزت كلماته مشاعرهم وربما أبكت البعض الكثير منهم ، وأدرك الناس ، أن الأمة تتمخض بشر ، واستلزم هذا خطوة أخرى يقوم بها عثمان ، فأرسل إلى عماله أن يوافوه فى الموسم ، فحضر إليه معاوية وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وأخبرهم بما صنع الناس ، وما شكوا به إليه ، وطلب منهم – وهم وزراؤه ونصحاؤه – أن يجتهدوا فى آرائهم ويشيرواعليه ، فكان رأى عبد الله بن عامر : أن يأمرالناس بالجهاد ، ويجمهرهم فى المغازى حتى لا يتعدى هم أحد قمل فروه، ودبره دابته ، وأشار عليه معاوية بأن يرد عماله على الكفاية لما قبلهم ، أما سعيد بن العاص فكان رأيه أن يقتل قادة هؤلاء فيتفرق أذنابهم ، فالأمر يصنع بسر ، ولا ذنب للعامة الذين يتحدثون بما يسربه إليهم ، وأشار عليه بن أبى سرح أن يلجمهم بالمال ليعطف عليهم ، فهم أهل طمع[3] .

وأحاط الثوار بالمدينة – للمرة الأولى – مظهرين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد تلطف معهم عثمان فأجاب على تساؤلاتهم ، وقد أدرك المسلمون أنهم أصحاب شر ، فأشاروا على الخليفة عثمان بقتلهم ، وأبى عثمان إلا تركهم فانصرفوا وقد تواعدوا على المجىء فى شهر شوال من السنةنفسها (٣٥هـ) حتى يزوره وكأنهم حجاج[4] .

---

(١) المصدر السابق ١٤٩ – ١٥٠ .

(٢) نفسه .

(٣) عبد الله بن سبأ ١٤٩ – ١٥٠ .

(٤) الطبرى ٤/٣٤٦ نقلاً عن عبد الله سبأ ١٦٠.

فلما كان الموعد ، خرج الثوار قاصدين المدينة ، وبيان ذلك بما يلى[1] :

(سمع عثمان أن وفد مصر أقبلوا فاستقبلهم، فقالوا له : ادع بالمصحف ، فدعا به ، فقالوا : افتح السابعة - يعنى سورة يونس - فلما قرأ ﴿ قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس : ٥٩] أوقفوه ، وقالوا : أرأيت ما حميت من الحمى آ الله أذن لك أم على الله تفترى ؟ ثم ذكروا له أشياء أخرى ، وكلما ذكروا له شيئًا قال : امضه نزلت فى كذا .. فيدفعهم إلى : المعنى المقصود منها ثم إنهم خرجوا راضين وكتبوا عليه شرطًا ، وأخذ عليهم ميثاقًا ألا يشقوا ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم ،ورجعوا راضين ، فبينما هم فى الطريق إذ براكب يتعرض لهم ويفارقهم ، ثم يرجع إليهم ، ثم يفارقهم ، قالوا : ما لك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ، ففتشوه فإذاهم بكتاب من عثمان وعليه خاتمه وفيه الأمر بقتلهم ، فأقبلوا نحوالمدينة فأتوا عليا فقالوا له : ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا وكذا ؟ وأن الله قد أحل دمه ، فقم إليه . قال : والله لا أقم معكم . قالوا : فلِمَ كتبت إلينا[2] ؟ قال : والله ما كتب إليكم كتابًا ، فنظر بعضهم إلى بعض، وخرج علىّ من المدينة ، فانطلقوا إلى عثمان ، فقالوا : أنت كتبت إلينا بكذا وكذا ، فقال : انهما اثنتان أن تقيموا رجلين من المسلمين ، أو يمينى بالله الذى لا إلٰه إلا هو ما كتبت، ولا أمليت ، ولا علمت ، وقد يكتب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم ، قالوا : قد أحل الله دمك ، ونقضت العهد والميثاق وحاصروه فى داره . ويحيط الثوار بالمدينة للمرة الثانية وعثمان غير مكترث بهم ، بل كانوا فى عينه أدق من التراب ، ويمضى أسبوع على نزولهم بمسجد رسول الله ﷺ ويزداد تصاعد الأحداث ، ويبدأ اللغط يرتفع فى جوانب المسجد ويتطور إلى مناوشات ، ثم إلى حصب الخليفة عثمان وهو على المنبر ، فيصرع ويحمل ثم يعود ويصلى بهم عشرين يومًا ، ويحكم الثوار الحصار وتعيش مدينة رسول الله ﷺ أيامًا عصيبة ، ويبقى الصحابة فى حيرة من أمر هؤلاء ، والناس بمجملهم لا يدرون ما القوم صانعون ، ولا على ما هم عازمون[3] .

ويحاولون عثمان أن يعزل نفسه ، فيمتنع مشيرًا إلى أن رسول الله ﷺ أوصاه بعدم طاعة

---

(١) عبد الله بن سبأ ص ١٦٠ .

(٢) وكان قد وصلهم زورًا كتابًا عن لسان على يأمرهم بالرجوع إلى المدينة .

(٣) البداية والنهاية ٧/ ١٩١ نقلاً عن عبد الله بن سبأ ١٦٤ .

المنافقين (يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصًا فإن أرادوك خلعه فلا تخلعه لهم)[1] . ثم يبعث عثمان إلى أهل الأمصار - يستنجدهم - ويعرفهم ما الناس فيه فيتجهزون ويخرجون على الصعب والزلول ، من مصر ، والشام ، والكوفة ، والبصرة[2] ، ويتناهى الخبر إلى المحاصرين فيخشون فوات الفرصة ، ويحكمون حصارهم على المدينة ، فتضيق بهم طرقاتها ويبلغ الزحام شدته فى موضع الحصار ، حتى لو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل ، كما يقول بذلك من حضر الدار[3] . ويتسابق الصحابة بعد أن أحاط الثوار بداره ، وحاولوا عزله بل منعه مما به إليه حاجة فى الدفاع عن نفسه ، ويستعينون بأبنائهم فى الوقوف معه ، فإذا هو يستقبلهم ويقسم عليهم ، أن يكفوا أيديهم فيسكتوا حتى أن بعضهم لبس الدرع مرتين . وحتى أن الأنصار يسألونه أن يكونوا أنصار الله مرتين !! فيأمرهم بالكف ويقول لاحاجة لى فى ذلك . ويستمر الحصار من أواخر ذى القعدة إلى الثامن عشر من ذى الحجة . ولما اشتد به وبأهله الظمأ أشرف عليهم قائلاً : ألا أحد يبلغ عليًا فيسقينا ماء ؟ فبلغ الخبر عليًا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء ، فما كادت تصل إليه إلا بجهد .

(والتف خارج الدار وحواليها صفوف عريضة من الثوار المدججين .. أما الخليفة فقد طلع عليه صباح ذلك اليوم وهو فى عالم آخر ، لا يكاد يعنيه شىء من كل هذه الدنيا القائمة حوله والقاعدة .. لقد تلقى دعوةً إلى الجنة .. وهو اليوم فى شغل بها عن كل شىء عداها !! ففى الأمسية السالفة وبعد أن صلى من الليل ما صلى وقرأ من القرآن ما قرأ .. وألقى بنفسه بين يدى ربه ضارعًا ، آوى إلى فراشه ونام ، وفى منامه رأى الرسول ﷺ يقول له : أفطر عندنا غدًا يا عثمان[4] ، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : (لما حُصر عثمان فى داره .. قال لى أيقظنى الليلة عند السحر ، قال : فأتيته ، فلما كان السحر قلت أمير المؤمنين : السحور يرحمك الله ، فقال : هكذا ومسح جبهته ثم قال : يا سبحان الله يا أبا هريرة يرحمك الله قطعت علىّ رؤيا كنت فيها ، رأيت رسول الله ﷺ فقال لى إنك تفطر عندناغدًا)[5] (.. ما أبهجها من كلمات ، بعثته فى خلق جديد !!!) .

---

(١) الطبقات لابن سعد ٣/ ٦٦ نقلاًعن عبد الله بن سبأ ١٦٤ والحديث فى صحيح سند الترمذى ٢٩٢٣ .

(٢) الطبرى ٤/ ٥١ نقلاً عن عبد الله بن سبأ ١٦٤ .

(٣) البداية والنهاية ٧/ ١٩٥ نقلاً عن عبد الله بن سبأ ١٦٥ .

(٤) خلفاء الرسول ٣٤٠ .

(٥) أحمد فى الزهد ١٥٩ .

وإذن ، فليس أمامه سوى وقت قصير لكى يتهيأ لموعد المصطفى ،ورحلة الخلود .. !! سيترك للناس دنياهم .. وسيدع للثوار تلك الجدران الأربعة التى يحاصرونها ، منطلقًا فى عرسه العظيم إلى رحاب الله وجوار محمد ﷺ[1] .

أما عن كيف قتل ؟

فقد قتل مظلومًا ، ومن قتله كان ظالمًا ، ومن خذله كان معذورًا – كما قال سعيد ابن المسيب – يقول بن العربى المالكى فى العواصم من القواصم :

(ولما صحت إمامته – أى عثمان – قتل مظلومًا ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً ، وكان السبب المؤدى إلى قتله مجموعة من الاتهامات وجهت إليه زورًا كل من رواها من الكذابين والفسقة ومن لا يعرف حالهم)[2] .

(ويتسور الثوار على عثمان داره ، وتتوزع رماحهم فى دمائه الطاهرة وهو الشيخ المعلق قلبه بالله ، والمحتضر وبين يديه كتاب الله !!!)[3] .

(كان الاغتيال الخاطف قد تم بين العصر والأصيل ، وإذن ، فأمام روحه وقت كاف لبلوغ موعدها على مائدة الإفطار فى الجنة عند الغروب ..!!

فلتعرج إلى بارئها .. ولتذهب إلى ضيافته فى حبور عظيم .. إن رسول الله ﷺ هناك ينتظر على شوق .. وينتظر معه صاحباه الصديق والفاروق .. لقد تعب عثمان طويلاً خلال اثنتى عشرة سنة قضاها فى الخلافة حاملاً أعبائها ولأواءها .. أو قد ظفر بمبتغاه .. أجل .. كان الظفر حظه ، والفوز نصيبه.. فليبق للأرض جسده مثخنًا داميًا .. أو سليبًا معافى .. ذلك أمر لا يعنيه ما دامت روحه الطاهرة قد فازت بمستقبلها عند الله ..)[4] .

(.. وتختلف الروايات فى تعيين قاتله : هل كان رومانى اليمانى ، أو سودان بن حمران ، أو كنانة بن بشر أو أنه لم يتعين قاتله على الصحيح)[5] .

---

(١) خلفاء الرسول ٣٤٠ .

(٢) راجع هذه الاتهامات فى العواصم من القواصم بتحقيق محب الدين الخطيب ٥٦ – ١٥١ .

(٣) البداية والنهاية ٧/ ١٩٥ نقلاً عن عبد الله بن سبأ ١٦٥ .

(٤) خلفاء الرسول ٣٤٣.

(٥) البداية والنهاية ٧/ ١٩٥ نقلاً عن عبد الله بن سبأ ١٦٥ .

(والذى يهمنا أن نتعرف على هوية قاتليه ،فهم رؤس شر وأهل جفاء وأرزال أوباش ، كما قال بن عماد الحنبلى ، وهمج رعاع من غوغاء القبائل ، وسفلة الأطراف ، كما قال النووى ، أو حثالة الناس ، ومتفقون على الشر ، كما يصفهم ابن سعد ، ويقول الزبير - رضى الله عنه - : قتله الغوغاء من الأمصار ، ونزاع القبائل ، وظاهرهم الأعراب والعبيد)[1] ، ولكن هل كان أحد من الصحابة شريكًا فى ذلك ؟يقول الدكتور سليمان العودة فى كتابه القيم « عبد الله ابن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة » : (ولعله بعد هذا لا يبقى مكان للروايات التى تشرك الصحابة فى دم عثمان ولا لبعض الأخبار التى تقول أنه جد فى أمر عثمان طلحة والزبير)، كيف وقد سئل الحسن : أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار ؟ قال : لا ، كانوا أعلاجًا من أهل مصر .. ويستطرد دكتور العودة فيقول : (وإذا كان لقائل أن يقول : كيف قتل عثمان ، وفى المدينة جمع من كبار الصحابة ؟ وهو سؤال وضعه ابن كثير ثم أجاب عليه بعدة أمور منها :

١ - أن كثير منهم ، بل أكثرهم ، أو كلهم لم يعلموا أن الأمر سيبلغ قتله.

٢ - أن الصحابة مانعوا عنه أشد الممانعة ، فلما كان التضييق عزم عليهم بوضع أسلحتهم والخروج إلى منازلهم .

٣ - أن الثوار اغتنموا فرصة غياب كثير من أهل المدينة فى الحج ، وعجلوا عثمان قبل قدوم أهل الأمصار عليه .

٤ - كان المحاصرون قريبًا من ألفى مقاتل من الشجعان ، وأهل المدينة كلهم ربما لا يبلغون هذا الرقم لتوزيعهم فى الثغور والأقاليم ، وكما يقول الدكتوور العودة .

(وبالجملة فهى فتنة قدرها الله ، وبوحى منه ، أخبر عنها رسول الله ﷺ وهو يبشر عثمان على بلوى تصيبه)[2] .

● ففى الحديث عن أبى موسى - رضى الله عنه - وفيه : (.. فجاء إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان ، فقلت: على رسلك . فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال : أئذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه ..)[3].

---

(١) انظر عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة ١٦٦ .

(٢) نفسه .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخارى فى الصحيح برقم ٣٦٩٥ .

ولقد كان عمر سبب انتشار هذه الفتنة ، كما يقول ابن كثير ، أما وقد كسر الباب ، واستشهد عمر ، فما بقى إلا أن يصدق خبر المصطفى فى الفتنة التى تموج موج البحر . عن شقيق قال : سمعت حذيفة يقول : (بينما نحن جلوس عند عمر إذ قال : أيكم يحفظ قول النبى ﷺ فى الفتنة ؟ قال : فتنة الرجل فى أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال : ليس عن هذا أسألك ، ولكن التى تموج موج البحر فقال : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابًا مغلقًا . قال عمر : أيكسر الباب أم يفتح ؟ قال : يكسر ، قال عمر : إذاً لن يغلق أبدًا ، قلت : أجل . قلنا لحذيفة : أكان عمر يعلم الباب ؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دون غد ليلة وذلك أنى حدثته حديثًا ليس بالأغاليط فهبنا أن نسأله مَنْ الباب ؟ فأمرنا مسروقًا فسأله ، فقال : من الباب ؟ قال : عمر)[1] ، ويبتلى بالفتنة عثمان فيصبر لها ويحتسب أجرها منذ علم عثمان خبرها وهو يقول : اللهم صبرًا ،ثم يصبر عليها وقت هيجانها ويقول : (إن رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها ..)[2] .

● بعد هذا كله – وكما يقول دكتور العودة[3] – علنا ، قد عرفنا ملابسات الفتنة التى انتهت بمقتل عثمان ، فقد ابتدأت بمآخذ كانت تكمن خلفها بواعث الفتنة ، ثم تبلورت على شكل بوادر خلاف شملت معظم أقطار الخلافة ، ثم كان لابن سبأ دور فى استغلال أجواء الفتنة ، ووأخيرًا تصاعدت الأحداث ، وأقبل الثوار – وفيهم ابن سبأ – ومن كان يكاتبه وانتهى الأمر باستشهاد الخليفة ، فلله الأمر من قبل ومن بعد !!

وهكذا كان مقتل عثمان بابًا لسلسلة من الفتن التى امتدت حلقاتها إلى غير نهاية !

(١) انظر الحديث فى صحيح البخارى ٧٠٩٦ .

(٢) الطبرى ٤/ ٣٣٤ نقلاً عن عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام ١٦٧ .

(٣) فى كتابه عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام ١٦٧ ، وللإشارة فلقد رجعنا فى حديثنا عن الفتنة الكبرى ومقتل عثمان إلى هذا الكتاب وهذا للأمانة العلمية .

● عن ميمون بن مهران قال : (لما قتل عثمان ، قال حذيفة : هكذا ، وحلّق بيده يعنى عشرة ، فتق فى الإسلام فتق لا يرتقه جبل).

ولما بلغ ثمامة بن عدى قتل عثمان ، بكى فطال بكاؤه ، ثم قال : (هذا حينُ أنزعت خلافة النبوة من أمة محمد وصار ملكًا وجبرية ، من غلب على شيء أكله)[1] .

ولقد كان مقتله يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، ويقال لثمانى عشرة ليلة من سنة خمس وثلاثين[2] .

☆○□○☆

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٥٩ .
(٢) صفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ٥٩ .

(٤)

علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

● اسمه ونسبه ●

● هو على بن أبى طالب - واسم أبى طالب عبد مناف - بن عبد المطلب بن هاشم ، وهو ابن عم النبى ﷺ لأبيه ، وأقرب العشرة نسبًا إليه .

● أمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أول هاشمية ولدت هاشميًا .. وقد هاجرت إلى المدينة وماتت بها وصلى عليها النبى ﷺ وتولى دفنها .

● ويكنى أبا الحسن ، وأبا تراب ، وهو أبو السبطين .. الحسن والحسين .

ويكنى بأبى الريحانتين ، وجملة من فى الصحابة اسمه على ثمانية ليس فيهم ابن أبى طالب غيره[1] .

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - أسمر اللون ، أصلع الرأس ، ليس فى رأسه شعر إلا من خلفه أبيض الرأس واللحية ، وربما خضّب ، وكانت لحيته عظيمة ، كثير شعر الصدر ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، وهو إلى القصر أقرب .. وقيل : كان فوق الربعة ، وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ، ضخم عضلة الساق دقيقها مستدقها ، كان حسن الوجه ، كثير التبسم .

● إسلامه ●

(عندما بدأت أيام الرسالة الأولى .. بل عندما بدأت أولى ساعاتها ، كان هناك ثلاثة يلحظون التغير الهائل الذى يرسم سيماه على حياة الرسول .. هم : خديجة زوجته ، وعلى ابن عمه ، وزيد خادمه .. ولقد أسلموا بهذا الترتيب)[2] .

---

(١) الرياض المستطابة ١٦٥ .

(٢) خلفاء الرسول ٣٧٥ .

ولنعد قليلاً إلى الوراء :

(كان من لطف الله وإرادته الخير له ، أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب كثير العيال ، فأرادوا أن يخففوا عنه ، فكلموه فى ذلك فقال: إذا تركتم لى عقيلاً وطالبًا فاصنعوا ماشئتم . فأخذ رسول الله عليًا . فلم يزل فى حجرة حتى بعثه الله نبيًا فآمن به على وصدقه ..)[1].

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : (أول من صلى على)[2] ، قال أبو عيسى : وقال بعض أهل العلم ، أول من أسلم من الرجال أبو بكر وأسلم على وهو غلام ابن ثمان سنين وأول من أسلم من النساء خديجة .

(وهكذا أسلم الغلام المبارك .. ولم يتردد .. وكان أول المسلمين[*] ومن ذلك اليوم وهو مع النبى ﷺ لا يفارقه ، يصلى معه ، ويصغى إليه ، ويراه يتهيأ لتلقى الوحى .. إنه وهو فى الثامنة من عمره بدأ يعيش مع رسول الله ﷺ ، يتأدب على يديه ، ويتأثر بطهره وعظمة نفسه ، وتقى ضميره وسلوكه .. وسارت حياته من ذلك اليوم إلى أن يجئ اليوم الذى سيلقى فيه ربه .. تطبيقًا كاملاً وأمينًا لمنهج الرسول وتعاليم القرآن . ألا بوركت هذه الحياة !! حياة لم تكن لها صبوة ، ولا شهوة ، ولا هفوة !! حياة ولد صاحبها وتبعات الرجال فوق كاهله !! حتى لهو الأطفال لم يكن لحياة ابن أبى طالب فيه حظ ولا نصيب .. فلا مزامير البادية ، ولا أغانى السمّار ، شبع منها سمع الطفل ووجدان الشاب .. لكأن المقادير كانت تدخر سمعه ووجدانه، لكلمات أخرى ستغير وجه الأرض ، ووجه الحياة .. !!)[3] .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٣٦.

(*) من الصبيان كما سبق .

(٣) خلفاء الرسول بتصرف ٣٧٦ .

● من مناقبه ●

كان - رضى الله عنه - أول من أسلم من الصبيان ..وأول من هاجر بعد النبى ﷺ وأبى بكر .. وأول من صلى من المسلمين .. وأجمعوا على أنه شهد المشاهد كلها إلا تبوك ، وكان النبى ﷺ قد استخلفه فيها على المدينة . فلما خرج رسول الله إلى تبوك وسار قليلاً تبعه على وقال: تخلفنى فى النساء والصبيان ! فقال له الرسول ﷺ : (ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى)[1] . وكان لواء النبى ﷺ معه فى أكثر حروبه ، وإذا لم يغز بنفسه أعطاه سلاحه . وكان له الأثر العظيم فى كل مشهد .. قال - ﷺ - فى غزوة حنين (لأعطينّ الراية غدًا لرجل يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله)[2] ، فكان هو المُعطى ، واختص بتزويج السيدة فاطمة - رضى الله عنها - وقد أثنى عليه جمع من الصحابة منهم : أبو بكر وعمر ، واعترفوا له بالفضل بالسبق والتقدم فى العلم والفهم ، ورجعوا إلى قوله فى الفتاوى الحادثة ، وسُئل ابن عباس عن على فقال : « كان قد مُلئ علمًا وحلمًا »[3] ، وهو أحد العشرة النجباء ، والستة أصحاب الشورى ، وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، والشجعان المشهورين ، والزهاد المذكورين ، والسابقين الأولين ، واختُص بغسل النبى ﷺ ، وتكفينه وإدخاله القبر .

● قال عنه ضرار بن ضمرة : « كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وينطق بالحكمة من نواحيه ، يستوحش الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ..»[4] .

● من أجلّ مناقبه وأعظمها قول الرسول ﷺ : (من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه)[5].

● ولقد صدق عليه الوصف النبوى فابتلى به محب مفرط ، وباغض مفرط ، فقد قال عن

---

(١) صحيح البخارى ٣٧٠٦ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى فى الصحيح ٣٧٠١ .

(٣) الرياض المستطابة ١٦٧ .

(٤) صفة الصفوة ١/ ٨٨.

(٥) صحيح سنن الترمذى ١٩٣٠ .

نفســـه : (والـذى فـلق الحبة وبـرأ النسمـة إنه لعهـد النبى الأمى إلىّ أن لا يحبـنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلامنافق)[1] .

(ولقد سلك قوم فى محبته طريقة ذات أخطار فترضوا عن الصحابة السابقين له بالخلافة وخطاؤهم فى تقدمهم عليه ، فأقدموا على نقض إجماع القرون .. كما تضمن أيضًا قولهم تعجيز على حيث بايع لمن قبله تقية وحاشاه ، فلم يكن رعديد الجنان ، ولا العاجز الجبان ، ولا الإمعة المهان ، بل كان سيدًا شجاعًا مسموعًا مطاعًا)[2].

● الفدائى العظيم ●

(إن خطة الهجرة ، كما رسمها الرسول ﷺ ، كانت تتطلب أن يأخذ مكانه فى البيت رجل تشغل حركته داخل الدار أنظار المحاصرين لها من مشركى قريش وتخدعهم بعض الوقت عن مخرج الرسول عليه السلام .. حتى يكون وصاحبه أبو بكر قد جاوزوا منطقة الخطر .. ولكن ! ما مصير الذى سيخلف الرسول فى داره ويخدع قريشًا كلها عن مخرجه ؟! ما مصيره حين تكتشف قريش الحيلة ، وترى كيدها الذى عبأت فيه كل قواها ، يرتد لا هزيمة ماحقة فحسب ، بل وسخرية تضحك منها ولدانها ، وخذيًا يجثم فوق جبينها ..؟ إن مصيره مفروغ منه.. إنه القتل ، إذا لم تجد قريش ما هو أشد من القتل تشفيًا وفتكًا !!

والحق أنها ستكون نهاية موحشة . فالرجل الذى سيكتب عليه أن يحمل هذه التضحية لن يقتل فحسب .. بل سيُقتل فى بلد موحش ، قد خلا من كل أصحابه الذين كانوا بالأمس يملأون فجاجه دويًا بالقرآن كدوى النحل .. فى هذا البلد الموحش سيُقتل وحيدًا .. دون أن يجد من إخوانه من يشجعه ولو من بعيد بنظرة تثبيت .. أو يودعه – ولو من بعيد أيضًا – بنظرة عطف ومحبة أو يتسلل فى جنح الظلام إلى قبره فيقف عليه مسلمًا !! لا شىء من ذلك سيكون .. ولا شىء من ذلك سيخفف من وقع النهاية التى ستختارها قريش لمن يمثل دور الرسول عليها حتى يخدعها عنه ، وحتى يرد كيدها العاتى ترابًا فى تراب !! فمن أى طراز

---

(١) صحيح مسلم ٧٨.

(٢) الرياض المستطابة ١٦٨ .

سيكون هـذا الفدائى العظيم ؟ ومن أى ناحية سيجئ البطل .. ؟ إنه من بيت النبوة يجئ .. إنه سليل بنى هاشم .. وتلميذ محمد ..إنه ربيب الوحى، وسابق المسلمين .. إنه «على» يفاجئ قريشًا .. فَلْيسُؤ على يديه صباحها .. كما ساء بخروج النبى ممساها !!!)[١] .

● زهــده ●

● وصفه عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - فقال : (أزهد الناس فى الدنيا على ابن أبى طالب) .

● وجاءه ابن التياح فقال : (يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء ، فقال : الله أكبر ، ثم قام متوكئًا على ابن التياح حتى قام على بيت المال فقال :

هـذا جنـاى وخيـارى فيـه وكـل جـانٍ يـده إلى فيـه

يا ابن التياح علىّ بأشياخ الكوفة ، قال : فنودى فى الناس ، فأعطى جميع ما فى بيت المال وهو يقول : يا صفراء يا بيضاء غُرى غيرى .. حتى ما بقى فيه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحة وصلى فيه ركعتين)[٢] .

(ثم دُعى لينزل قصر الإمارة . قصرٌ كبير ترتفع هامته فى شموخ وفتنةٌ ، فلا يكاد يبصره حتى يولى عنه مدبرًا وهو يقول : (قصر الخبال هذا لا أسكنه أبدًا) !! ويلح عليه أهل الكوفة أن ينزل به فهو أرحب ، وأنسب ، فيصر على رفضه ويقول : لا حاجة لى فيه ، إن عمر ابن الخطاب كان يكرهه ..)[٣] .

● ويرتدى - وهو خليفة - جلبابًا اشتراه من السوق بثلاثة دراهم ، ويركب حمارًا قد تدلت على جانبيه ساقاه ، وكأنه من فقراء البادية .. ويعزم عليه أصحابه أن يجعل وسيلته للتنقل جوادًا يليق به كأميرًا للمؤمنين .. فيجيبهم قائلاً : « دعونى أهن هذه الدنيا »[٤] .

(١) خلفاء الرسول ٣٩٦ .
(٢) صفة الصفوة ١/ ٩٨ وانظر خلفاء الرسول ٣٩٨.
(٣) خلفاء الرسول ٣٩٩ .
(٤) صفة الصفوة ١/ ٩٩ .

● وعن عمرو بن قيس ، أنه رأى عليًا عليه إزار مرقوع ، فعوتب فى لبوسه فقال : «يقتدى به المؤمن ، ويخشع له القلب».

● وعن على بن أبى الأرقم عن أبيه قال: « رأيت عليًا وهو يبيع سيفًا له فى السوق ويقول : من يشترى هذا السيف ؟ فوالذى فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ، ولو كان عندى ثمن إزار مابعته »[1] .

● ورعه ●

● عن عمرو بن يحيى عن أبيه قال : (أُهدى إلى على أزقاق سمن وعسل ، فرآها قدنقصت فسأل : فقيل : بعثت أم كلثوم فأخذت منه ، فبعث إلى المقوّمين فقوموه بخمسة دراهم ، فبعث إلى أم كلثوم : ابعثى إلىّ بخمسة دراهم)[2] .

● وعن أبى صالح قال : (دخلت على أم كلثوم بنت على ، فجاء حسن وحسين فدخلا عليها وهى جالسة فقالت : ألا تطعمون أبا صالح شيئًا ؟ قال : فأخرجوا إلىّ قصعة فيها مرق بحبوب قال ، فقلت : تطعمون هذا وأنتم أمراء ؟ قالت أم كلثوم يا أبا صالح ، كيف لو رأيت أمير المؤمنين على ، وأتى بأترج فذهب حسين فأخذ منها أترجة فنزعها من يده ثم أمر به فقسم بين الناس)[3] .

● خلافة على والفتنة الكبرى ●

تولى على الخلافة بعد مقتل عثمان فى ظروف خطيرة.. حيث سيطر الثوار على المدينة ، وأفلت الأمر من كبار الصحابة ، فلم تعد ثمة سلطة عليا تحكم الدولة الإسلامية.

(وهكذا .. جاءته الخلافة أخيرًا .. مثخنة بالجراح ، مثقلة بالمتاعب ، معبأة بالعواصف .. !! وقصده الثوار وأيديهم لم يجف عنها دم الخليفة الشهيد عثمان ، ورفض الإمام

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٩٩ .

(٢) الرياض النضرة فى مناقب العشرة ٦٩٠ .

(٣) المصدر السابق .

على وقال : والله إنى لأستحى أن أبايع قومًا قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة ، وإنى لأستحى من أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد ، فانصرفوا عنه ثم ذهبوا إلى طلحة والزبير وعدد من الصحابة فرفضوا أيضًا ، ثم عادوا إلى الإمام على فبايعوه وبايعه كبار الصحابة .. وكان طلحة بن عبيد الله أول من بايع[1] الإمام على فضرب بيده على يد على ، وكان بيده شلل من ضربة أصابته يوم أحد ، فلما وقعت يده على يد علىّ قال حبيب بن ذؤيب : أول يد وقعت على كف علىّ شلاء ، لا والله لا يتم هذا الأمر من قِبل طلحة أبدًا ، ثم وثب الزبير وبايع ، وبايع الناس بعد ذلك .. وبهذا صار الإمام على خليفة المسلمين .. وهو آخر خلفاء النبوة . عن سعيد بن جهمان قال : حدثنى سفينة قال : قال رسول الله ﷺ : (الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك)[2]. ولقد أيقظ الشيطان الفتنة ، فكانت أيام خلافته فتن ومعارك صرفت المسلمين عن إكمال مسيرة الفتح الذى بدأها عمر واستمر فى عهد عثمان حتى شمل البر والبحر !!

• موقعة الجمل •

ولما تمت البيعة لعلى استأذن طلحة والزبير عليًا فى الخروج إلى مكة ومن قبلهما ذهبت أم المؤمنين عائشة وبقية أمهات المؤمنين ، فأشارا طلحة والزبير على أم المؤمنين بالخروج إلى البصرة فخرجوا .. ولكن لأى شىء خرجوا ؟!

من هنا كثرت الأقاويل ، واختلفت الروايات فى سبب خروجهم ، وكما قال ابن العربى المالكى :

(١) وردت روايات مفادها أن طلحة بايع مكرهًا وهذه الروايات من اختراع دعاة الفتنة وهى لا تثبت بوجه من الوجوه ، راجع إن شئت العواصم من القواصم ١٤٨ .

(٢) صحيح سنن الترمذى ١٨١٣ ، وقد أخرج أبو القاسم محمد بن عبدوس فى كتاب (التسلى عن الدنيا) قال : روى عن النبى ﷺ أنه قال : « الخلافة فى أمتى ، وذكر الحديث ، قال : وجدت فى بعض التواريخ ما يلى : أيام أبى بكر ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، وأيام عمر عشر سنوات وستة أشهر وثمانيةعشر يومًا ، وأيام عثمان إحدى عشر سنة وأحد عشر شهرًا وثلاثة وعشرين يومًا ، وأيام على أربع سنوات وسبعة أشهر ويوم واحد ، وأيام الحسن بن على خمسة أشهر وعشرة أيام ، قال : فجمعت ذلك كله فكانت ثلاثين سنة لا تزيد يومًا واحدًا ولا تنقص يومًا واحدًا .. ! » .

(.. ولكن لأى شيء خرجوا ؟ لم يصح فيه نقل ولا يوثق فيه بأحد ، لأن الثقة لم ينقله وكلام المتعصب غير مقبول ،و قد دخل مع المتعصب من يريد الطعن فى الإسلام واستنقاص الصحابة)[1] . فالصحيح فى المسألة ، والذى يجب أن يقال أن خروجهم كان لتأليف الكلمة والنظر فى أمر قتلة عثمان . فقد خرج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة - رضى الله عنهم - رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم ، واحتج طلحة والزبير على عائشة بقول الله تعالى : ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ . [النساء : ١١٤] .

وقد خرج النبى ﷺ فى الصلح وأرسل إليه فرجت المثوبة واغتنمت الفرصة وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها ، ولما قرب طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ومن معهم من البصرة وأحس بهم أهلها ، خرج إليهم عثمان بن حنيف - والى علىّ على البصرة - يريد أن يمنعهم فلم يستطع وخرج الأمر من يده إلى أيدى أصحاب الجمل ، وقدم علىّ البصرة فنزل بمكان يسمى « الزاوية » وكان أصحاب الجمل نازلين مكانًا يسمى « الفرضة » .

وكان الصحابى الجليل القعقاع بن عمرو التميمى قد قام بين الفريقين بالوساطة الحميمة المعقولة ، فاستجاب له أصحاب الجمل وأذعن علىّ لذلك ، وبعث علىّ إلى طلحة والزبير يقول: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر فى هذا الأمر ، فأرسلا إليه إنّا على ما فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس .

قال ابن كثير فى البداية والنهاية[2] : (.. فاطمأنت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين ، فلما أمسوا بعث على عبد الله بن عباس إليهم وبعثوا إليه محمد ابن طلحة السجّاد ، وبات الناس بخير ليلة وبات قتلة عثمان بشر ليلة ، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب مع الغلس[3] فنهضوا من قبيل طلوع الفجر وهم قريب من ألف رجل ، فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف . ا.هـ .

وهكذا أنشبوا الحرب بين علىّ وأخويه الزبير وطلحة ، فظن أصحاب الجمل أن عليًا غدر

(١) العواصم من القواصم ١٥٥ .
(٢) ٧/ ٢٥٠ - ٢٥١.
(٣) طلوع الفجر .

بهم ، وظن عليّ أن إخوانه غدروا به ! وكلُ منهم أتقى لله من أن يفعل ذلك فى الجاهلية فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من أخلاق القرآن !![1] ولما اتسع زمام الحرب ، خرج كعب بن سور الأزدى بأمر عائشة بمصحف منشور بيده يناشد الناس ألا يريقوا دماءهم ، فلما رآه قتلة عثمان خافوا أن يجرى الصلح فرشقوه بالنبال فمات ، فلما رأت ذلك أم المؤمنين قالت : أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، وأقبلت تدعُو وضج أهل البصرة بالدعاء ، وسمع على الدعاء قال : ما هذه الضجة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعوا الناس معها على قتلة عثمان وأشياعهم ، فأقبل على يدعُو وهو يقول : اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم .

وهكذا اشترك صالحوا الفريقين فى لعنة قتلة عثمان أمير المؤمنين الشهيد المظلوم فى الساعة التى كان فيها قتلة عثمان ينشبون القتال بين صالحى المسلمين .

ولما ظهر على - رضى الله عنه - جاء إلى أم المؤمنين- رضى الله عنها - فقال : غفر الله لكِ ، قالت : ولك ما أردت إلا الاصلاح ، ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف ، وهى أعظم دار فى البصرة ، وزارها ورحبت به وبايعته وجلس عندها . ولما أرادت الخروج من البصرة بعث إليها بكل ما ينبغى من مركب وزاد ومتاع ، وأرسل معها أربعين امرأة وسيَّر معها أخاها محمد .

ولما كان اليوم الذى ارتحلت فيه ، جاء على - رضى الله عنه - فوقف على الباب وخرجت من الدار فى الهودج فودّعت الناس ودعت لهم وقالت : يا بنى لا يغتب بعضكم على بعض . وإنه والله ماكان بينى وبين علىّ - رضى الله عنه - فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وحمائها .. وإنه لمن الأخيار . فقال على - رضى الله عنه - صدقت والله ما كان بينى وبينها إلا ذلك وإنها زوجة نبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة ، وصار معها مودعًا وسرّح بيته معها بقية ذلك اليوم .

قال شيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله :

(إن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال ، وإنما خرجت بقصد الاصلاح بين المسلمين ، وظنت فى خروجها مصلحة للمسلمين ، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى ، فكانت كلما ذكرت ذلك اليوم - يقصد خروجها إلى البصرة - بكت حتى تبل خمارها ، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال فندم طلحة والزبير - رضى الله عنهم أجمعين - ولم يكن لهؤلاء قصد فى القتال ، ولكن وقع القتال بغير اختيارهم)[2] .

(١) انظر هامش العواصم ١٦٠ ص ٢٦٦ .

(٢) العواصم ١٦٤ هامش رقم ٧٢٥ .

- لقد قال الزبير يومًا لمولاه : إنها الفتنة التى كنا نتحدث عنها ، فقال مولاه أتسميها فتنة وتقاتل فيها ؟ =

• موقعة صفين •

ولما انتهى على من حرب الجمل وسار من البصرة إلى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب، أرسل جرير بن عبد الله البجلى إلى معاوية فى دمشق يدعوه إلى طاعته ، فجمع معاوية رؤوس الصحابة وقادة الجيوش أعيان أهل الشام واستشارهم فيما يطلب على ، فقالوا :لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان أو يسلمهم إلينا ، فرجع جرير إلى على بذلك . فاستخلف على على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر ، وخرج منهافعسكر «بالنخيلة» أول طريق الشام من العراق ، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى فى الكوفة ويبعث غيره إلى الشام فأبى ، وبلغ معاوية أن عليًا تجهز وخرج بنفسه لقتاله ، فأشار عليه رجاله أن يخرج هو أيضًا بنفسه ، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين ، وتقدم علىّ بجيوشه إلى تلك الجهة ، وكان جيش على فى مائةوعشرون ألفًا ، وجيش معاوية فى تسعين ألفًا وبدأ القتال فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين بمناوشات ومبارزات ثم تهادنوا فى المحرم سنة سبع وثلاثين ، واستأنف القتال بعده وقتل فى هذه الحرب سبعون ألفًا ، وكانت الوقائع تسعين وقعة فى مائة وعشرة أيام ، وامتازت هذه الحرب بنبل الشجاعة فى القتال ونبل التعامل والاتصال عند التهادن والراحة ، ثم كُتب كتاب التحكيم فى يوم ١٣ صفر سنة ٣٧هـ على أن يعلن الحكمان حكمهما فى رمضان بدومة الجندل بمكان يسمى « أذرح » ، فكان من ناحية على أبو موسى الأشعرى ومن ناحية عمرو بن العاص ، فاتفقا أبو موسى وعمرو على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ .

أما ما قيل من أنَّ كلا الرجلين اتفقا على خلع على ومعاوية ، فخلع أبو موسى الرجلين وكان قد تكلم أول ، وعندما تكلم عمرو اكتفى بخلع على وأثبت معاوية ، فقال أبو موسى : ما على هذا اتفقنا وخرجا ولم يتفقا ، فإنها مغالطة علمية .

وأصل هذه المغالطة أنَّ معاوية لم يكن يومئذ خليفة ولا هو ادّعى الخلافة حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه أو إثباتها له. وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن على ، وقد تمت مبايعة الحسن لمعاوية ، ومن ذلك اليوم فقط سُمى معاوية أمير المؤمنين ، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين ، وسُمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الأمة فيه على خليفة

= قال الزبير : ويلك .. إننا نبصر ولا نبصر .. ما كان أمر قط إلا وأنا أعلم موضع قدمى فيه غير هذا الأمر .. فإنى لا أدرى أمقبل أنا أم مدبر ؟ انظر الكامل ٣/ ١١٣ نقلاً عن أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، د/ إبراهيم شعوط ١٦٦ .

واحد ، قـال - ﷺ - عن الحسن بن على (ابنى هذا سيـد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)[1] .

● مقتل الإمام علي ●

● عن زيد بن وهب قال : (قـدِمَ على عليٍّ قوم من أهل البصرة من الخوارج ، فيهـم رجل يقال له الجعـد بن بعجة فقال له : اتق الله يا على فإنك ميت ، فقـال على : بل مقتول . ضربة على هذا تخضبِ هذه - يعنى لحيته من رأسه - عهد معهود وقضاء مقضى)[2] .

● وعن عبد الله بن سبع قـال : (سمعت عليًا يقول : لتخضبن هذه من هـذا فما ينتظر إلا الأشقى ؟ فقالـوا : يا أمير المؤمنين فأخبرنا بـه نبير عترته !! قال : إذن تـالله تقتلون بى غير قاتلى ، قالوا : فاستخلف علينا ، قال : لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ..)[3] .

● ولما دعاعليٌّ الناس إلى البيعة جاءه عبد الـرحمٰن بن ملجم فرده مرتين ، ثم أتاه فقال : ما يحبس أشقاها ؟ لتخضبنّ هذه من هذا ثم تمثل بهذين البيتين :

اشدد حيازيمك للموت فـإن القتـــل آتيـــك
ولا تجـزع مـــن القتـــل إذا حـــل بـواديـــك

وكان عبـد الرحمٰن بن ملجـم ، وهو من رؤوس الخوارج ، قـد خطب امرأة يقـال لها قطام فائقـة الجمال ، وكان عليٌ قد قـتل أبوها وأخوها يوم النهـروان ، فاشترطت على عبد الرحمٰن ابن ملجم ، أن يقتل عليًا ، فقال : والله ماجاء بى إلى هذه البلدة إلا قتل على ، فتزوجها ودخل بها ، وأخذت تحرّضـه على قتل على ، وفى ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهـر رمضان عام ٤٠ للهجـرة ، كمن عبد الرحمٰن بن ملجم ومعه اثنـان من أعوانه مقـابل السُدة التى يخرج منها الإمام على للصـلاة ، وخرج الإمام كعادتـه يوقظ الناس لصلاة الفجـر ففاجأه ابن ملجم وضربه بالسيف على رأسه فسال الدم على لحيته - رضى الله عنه - . وقال لأصحابه بعدأن علم أن عبد الرحمٰن بن ملجم هـو الذى فعل ذلك : أحسنوا نزله .. وأكرمـوا مثواه .. فإن أعش فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا .. وإن متُّ فألحقـوه بى .. أخاصمه عند رب العالمين .. ولا تقتلوا بى سواه إن الله لايحب المعتدين !! ولما احتضر - رضى الله عنـه - جعل يقول : لا إلٰه إلا الله ، ولا يقول غيرها !!

---

(١) صحيح البخارى ٣٧٤٦ .

(٢) أحمد فى المسند برقم ٧٠٣ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

(٣) أحمد فى المسند برقم ١٠٧٨ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

وقد توفى عن ثلاثة وستين عامًا ، وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .أما عبد الرحمٰن بن ملجم فقد تولى قتله الحسن بن على ، ثم أحرقت جثته بالنار !!

• وتبقى كلمة •

(إن ما حدث من جانب الصحابة فى هذه الفتنة الكبرى يُحمل على حسن النية والاختلاف فى التقدير والاجتهاد..كما يُحمل على وقوع الاصابة والخطأ ، لكنهم على كل حال مجتهدين ، وهم لاخلاصهم مثابون عليه فى حالتى الاصابة والخطأ .. لأن كل جهة لها وجهة نظر تدافع عنها بحسن نية ، حيث إنَّ الخلاف بينهم لم يكن بسبب التنافس على الدنيا ، وإنما كان اجتهادًا من كلٍ منهم فى تطبيق شرائع الإسلام)[1] .

● وقد سُئل بعض السلف عن الدماء التى أريقت بين الصحابة فقال : ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ .[البقرة : ١٣٤] .

● وسُئل ابن المبارك عن الفتنة التى وقعت بين على ومعاوية فقال : (فتنة قد عصم الله منها سيوفنا ، فلنعصم منها ألسنتنا) .

● وقد سُئل الحسن البصرى عن قتالهم فقال : (قتال حضره أصحاب محمد وغبنا وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا) .

● ومذهب أهل الحق إحسان الظن بهم ، والإمساك عما شجر بينهم .

وبعد :

فإنه لا يجوز وقد انطوى العهد بما فيه أن نتخذ من انتقاص معاوية ديدنًا ، وأن نقف منه دون فائدة مرجوة موقف الند اللدود .. فمعاوية- رضى الله عنه- صحابى من صحابة رسول الله ﷺ الذين قال فى حقهم : (إن خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ..)[2] . ولنحذر كل الحذر أن ننال منه بأى كلام يقلل من قدره ومكانته ، فهو - فوق أنه صحابى - من كُتّاب الوحى ، ولا يخفى ما لكُتّاب الوحى من فضلٍ ، ومكانة ، فهم أمناء سر الرسول ﷺ . ولو لم تكن له غير هذه المنقبة لكفاه شرفًا .

أما حديثنا نحن اليوم ، وقد طوى الأمر وأصبح حدثًا من أحداث التاريخ ، فإنه يغدو ، مجرد تطاول رخيص على الصحابة الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ وحذر من الإساءة إليهم ،

---

(١) تحقيق موقف الصحابة فى الفتنة د/ محمد أمحزون ٢/ ٣٤٢ .

(٢) سبق تخريجه .

ولاسيما الخلفاء الراشدين ، قال النبي ﷺ : (لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما أدرك مُد أحدهم ولا نصيفه)[1] .

وفي الختام لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتمسك بقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

● من أقواله وحكمه ●

قال - رضي الله عنه :

● تعلموا العلم ، تُعرفوا به .. واعملوا به تكونوا من أهله .. ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد أتت مقبلة .. ولكل منهما بنون . فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . إلا أن الزاهدين في الدنيا قد اتخذوا الأرض بساطًا ، والتراب فراشًا ، والماء طيبًا . ألا إن من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات .. ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن طلب زهد الدنيا هانت عليه مصائبها .. !!) .

وقال أيضًا :

● إن المضمار اليوم ، وغدًا السباق ..ألا وإنكم في أيام أمل ، من ورائه أجل .. فمن قصّر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله.. ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة .. ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ! ولم أر كالنار نام هاربها .. ألا وإن من لم ينفعه الحق ضره الباطل ،ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال ألا وإن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر .. وإن الآخرة وعد صادق ، يحكم به مالك قادر .. وإنّ أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .. فإن اتباع الهوى يصد عن الحق .. وإن طول الأمل يُنسى الآخرة .. !!

● ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك ، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين : رجل أذنب ذنوبًا فهو يتدارك ذلك بتوبة أو رجل يسارع في الخيرات ، ولا يقل عمل في تقوى ، وكيف يقل ما يتقبل .

---

(١) صحيح البخاري ٣٦٧٣ ، وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٠ .

● وقال - رضى الله عنه :

إذا اشتملت على اليأس القلـوب ... وضـاق بهمهـا الصـدر الـرحيبُ
وأوطنـت المكـــاره واطمأنـت ... وأرست فى أمـاكنهـا الخطـوبُ
ولم يُـر لانكشـاف الضروجـه ... ولا أغنـى بحيلتـه الأريـبُ
أتـاك على قنـوط منك غـوث ... يجىء بـه القـريب المستجيبُ
وكل الحادثـات إذا تنـاهت ... فمـوصـول بها الفـرج القـريبُ

● وقال - رضى الله عنه :

القريب من قرّبته المودة وإن بَعُدَ نسبه ، والبعيد من باعدته العداوة وإن قرب نسبه ، ولا شىء أقرب من يد إلى جسد ، وإن اليد إذافسدت قطعت وإذا قطعت حسمت !! ..

☆○□○☆

(٥)

طلحة بن عبيد الله

رضي الله عنه

• اسمه ونسبه •

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .. يجتمع مع الرسول ﷺ فى مُرة بن كعب ، وينسب إلى تيم بن مُرة .. فيقال القرشى التيمى ويجتمع مع أبى بكر فى كعب بن سعد بن تيم .

أمه : الصعبة بنت الحضرمى ، أخت العلاء الحضرمى .. الصحابى الجليل . ويُكنى : أبا محمد ، وكان يُلَقّبْ بطلحة الخير ، لَقّبه به رسول الله ﷺ يوم أحد . ولُقّبَ بطلحة الفياض لَقّبهُ به رسول فى غزوة ذات العشيرة ، ولُقّبَ أيضًا بطلحة الجود لَقَّبهُ به رسول الله ﷺ يوم حنين[1].

• صفته •

كان - رضى الله عنه - أبيض يضرب إلى الحمرة ، مربوعًا إلى القصر أقرب ، رحب الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم القدمين ، كان كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط[2] ، وكان لا يغير شيبه، حسن الوجه ، إذا مشى أسرع .

• اسلامه •

أما عن اسلامه - رضى الله عنه - فنتركه يحدثنا عن ذلك : يقول : (حضرت سوق بصرى فإذا راهب فى صومعته يقول : سلوا أهل الموسم أفيهم رجل من أهل الحرم ؟ قال طلحة : قلت أنا .فقال : هل ظهر أحمد بعد ؟ قلت : ومن أحمد ؟فقال : ابن عبد الله ابن عبد المطلب .. هذا شهره الذى يظهر فيه .. وهو آخر الأنبياء .. يخرج من أرضكم .. من الحرم .. ويهاجر إلى أرض ذات نخل وحرّة وسباخ .. فإياك أن تسبق إليه).

قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قاله الراهب .. فخرجت سريعًا حتى قدمت مكة فقلت : هل كان من حدث بعدنا فى مكة ؟ قالوا نعم : محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبى قحافة . قال طلحة : وكنت أعرف أبا بكر فقد كان رجلاً سهلاً محببًا موطأ

---

(١) الرياض النضرة فى مناقب العشرة ٧٠٩ .

(٢) السبط من الشعر المنبسط المسترسل ، والقطط الشديد الجعودة ، أى كان شعره وسطًا بينهما .

الأكناف .. وكان تاجرًا ذا خلق واستقامة ، وكنا نألفه ، ونحب مجالسته ، لعلمه بأخبار قريش ، وحفظه لأنسابها .. قال :فخرجت حتى قدمت على أبى بكر فقلت : أحقًا اتبعت هذا الرجل؟ فقال : نعم، فانطلِق إليه فأدخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق .. وجعل يقص علىّ من خبره، ويرغبنى فى الدخول معه ، فأخبرته بما كان من الراهب فدُهش له .. وخرج أبو بكر فدخل بى على رسول الله ﷺ فعرض علىّ الإسلام ، وقرأ علىّ شيئًا من القرآن وبشرنى بخيرى الدنيا والآخرة ، فشرح الله صدرى للإسلام ، وأخبرت رسول الله ﷺ بما كان من الراهب فسُر بذلك . وكنت رابع ثلاثة أسلموا على يد أبى بكر)[1] .

● ولما أسلم طلحة أخذه نوفل بن خويلد - وكان يلقب بأسد قريش - فأوثقه فى حبلٍ ، وأوثق معه أبا بكر الصديق ، وقرنهما معًا ، وأسلمهما إلى سفاء مكة ليذيقوهما أشد العذاب.. بَيْدَ أن اضطهادهما لم يطل مداه ، إذ سرعان ماخجلت قريش من نفسها ، وخافت عاقبة عملها .

● وهاجر طلحة إلى « المدينة » حين أُمر المسلمين بالهجرة ،ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عداغزوة بدر ، حيث كان فى تجارة له بالشام.

قال الزبير بن بكار :(..وكان طلحة بن عبيد الله فى الشام ، حيث كانت وقعة بدر ، فضرب له رسول الله بسهمه ، فلما قدم قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرك !!)[2] .

● من مناقبه ●

قال عنه أبو نعيم فى الحلية :

(طلحة بن عبيد الله من الأعلام الشاهرة ، صاحب الأحوال الزاهرة ، الجواد بنفسه ، الفياض بماله ، قضى نحبه ، وأقرض ربه ، كان فى الشدة والقلة لنفسه بذولاً) ا.هـ

كان - رضى الله عنه من السابقين فى الإسلام والهجرة ، شهد المشاهد كلها عدا بدر ، وكان له عظيم الأثر فى غزوة أُحد ، حيث دافع عن النبى ﷺ دفاع المستميت ووقاه

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٩. وانظر صورة من حياة الصحابة ٢٢٥ .

(٢) الاستيعاب على هامش الاصابة ٢٣٧ ترجمة رقم ١٢٨٠ .

حتى شُلّت يده ، وأصابه يومئذ بضع وعشرون بين طعنة رمح وضربة سيف .. سمّاه رسول الله ﷺ طلحة الجود ، وطلحة الفياض ، وطلحة الخير ، وسماه أيضًا الصبيح المليح الفصيح ، وأخبر الرسول ﷺ أنه ممن قضى نحبه[1] . وكان من الذين قال الله فيهم : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾[2] ، ومن الذين نزل فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[5] ، ثم أنه أحد العشرة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الثمانية السباق إلى الإسلام ، وأحد الرفقاء النجباء ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر ، وكان من خطباء الصحابة ومثريهم ، وأجوادهم[6] .

سمع عليٌ رجلاً ينشد :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا هو ما استغنى ويبعده الفقر

فقال : ذلك أبو محمد ، طلحة بن عبيد الله ..!

● أحد .. ذاك يوم كله لطلحة ..!! ●

(.. وتدور الأيام ، وتتلاحق الأحداث .. وتجيء غزوة أُحد ، وتدور حرب طاحنة سرعان ما غطت الأرض بحصادها الأليم .. ودارت الدائرة على المشركين ، ولما رآهم المسلمون ينسحبون وضعوا أسلحتهم وتخلى الرماة عن مواقعهم ليحوزوا نصيبهم من الغنائم .. وفجأة اكفهر الجو وتلبد بالغيوم وعاد جيش قريش من الوراء على حين بغتة ، فانقض على المسلمين، واستأنف القتال ضراوته ، وكان للمفاجأة أثرها في تشتيت صفوف المسلمين ، وكان النبي ﷺ يصعد هو ومن معه على الجبل ، فلحقه المشركون يريدون قتله . فقال النبي ﷺ : من يرد عني هؤلاء،

(١) صحيح سنن الترمذي ٢٩٤١ .
(٢) سورة آل عمران جزء من الآية رقم ١٧٢ .
(٣) سورة الأعراف من الآية ٤٣ .
(٤) سورة الزمر من الآية ١٨ .
(٥) سورة الحديد آية ١٩ .
(٦) الرياض المستطابة ١٣٩ .

وله الجنة ؟ فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : لا ، مكانك . فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله . فقال : نعم أنت ، فقاتل الأنصارى حتى قُتل ، ثم صعد رسول ﷺ بمن معه فلحقه المشركون ، فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟!

فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : مكانك . فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله . فقال: نعم أنت . ثم قاتل الأنصارى حتى قُتل أيضًا . وتابع الرسول صعوده ، فلحق به به المشركون ، ولم يزل يقول مثل قوله . ويقول طلحة : أنا يا رسول الله ، فيمنعه النبى ، ويأذن لرجل من الأنصار ، حتى استشهدوا جميعًا ، ولم يبق معه إلا طلحة ، فلحق به المشركون ، فقال طلحة : الآن ، نعم.. وراح طلحة يجتاز طريقًا تعترض كل شبر منه عشرات السيوف المسعورة، وعشرات الرماح المجنونة !!

وكان رسول الله قد كُسرت رباعيته ، وشُج جبينه ، وجُرحت شفته ، وسال الدم على وجهه الشريف ، وأصابه الإعياء ، فوقف طلحة مدافعًا عنه يضرب بسيفه البتار يمينًا وشمالاً ، وحمل رسول الله ﷺ وصعد به إلى الجبل ، ثم يسنده إلى الأرض ويكر على المشركين من جديد .. وما زال هكذا حتى صدهم عنه ..)[1].

(.. قال أبو بكر : وكنت حينئذ أنا وأبو عبيدة بن الجراح بعيدين عن رسول الله ، فلما أقبلنا نريد اسعافه قال : دونكم أخاكم فقد أوجب « يقصد طلحة » .. وكان طلحة قد أغشى عليه ، وإذا دماؤه تنزف وفيه بضع وعشرون ضربة بسيف ، أو طعنة برمح .. أو رمية بسهم ، وإذا هو قد قطعت كفه ، فكان رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك : (من سره أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة)[2] .

وكان أبو بكر - رضى الله عنه - إذا ذُكر عنده يوم أُحد قال : ذلك يوم كله لطلحة !! وقالت ابنتى طلحة : (جرح أبونا يوم أُحد أربعًا وعشرين جرحًا ، وقع منها فى رأسه شجة وشُلت أصبعه ، وسائر الجراح فى جسده ، وقد غلبه الغشى وطلحة يحمله على ظهره حتى صعد به إلى الصخرة كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشِعَب)[3] .

---

(١) رجال حول الرسول ٣٥٢ .

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٤١ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٦٣ .

وقال الزبير : (سمعت رسول الله يومئذ - يقصد يوم أُحد - يقول أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع ، يعنى حين برك له طلحة فصعد رسول الله على ظهره)[1] .

وقال ابن اسحاق فى السيرة :

(.. فبينما رسول الله بالشعب ومعه نفر من أصحابه ،إذ علت عالية من قريش الجبل ، فقال الرسول ﷺ : اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ،ونهض رسول الله إلى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع فجلس تحته طلحة ، فنهض حتى استوى عليها ، فقال رسول الله يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع)[2] .

ورحم الله من قال :

وطلحة يوم الشِعَبْ آسى محمدًا	لدى ساعةٍ ضاقت عليه وسُدّتِ
وقاه بكفيه الرماح فقطعت	أصابعه تحت الرماح فشلت
وكان إمام الناس بعد محمد	أقرَّ رحا الإسلام حتى استقرت ..!

• شهيد يمشى على الأرض •

جاء أعرابى إلى النبى ﷺ (يسأله عمن قضى نحبه . من هو ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ثم طلع طلحة من باب المسجد وعليه ثياب خضر ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : أين السائل عمن قضى نحبه ؟ فقال الأعرابى: أنا . قال النبى ﷺ : هذا ممن قضى نحبه)[3].

وعند مسلم فى الصحيح من حديث أبى هريرة : (أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء هو وأبو بكر، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله : اهدأ ، فماعليك إلا نبى أو صديق ، أوشهيد)[4].

---

(١) أحمد فى المسند ٣/ ١٤١٧ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

(٢) السيرة النبوية ٢/ ٦٠٤ والحديث فى صحيح سنن الترمذى برقم ٢٩٣٩ .

(٣) صحيح سنن الترمذى ٢٩٤٢ .

(٤) مسلم فى الصحيح ٢٤١٧ .

• جوده وسخاؤه •

كان – رضى الله عنه – من أغنياء المسلمين وأثريـاءهم .. وكانت ثـروته كلها فى خـدمة الدين ، وكان ينفق منها بغير حساب .. وكان الله ينميهـا له بغير حساب ، ولقد لقبه رسول الله ﷺ بـ « طلحة الخير » و « طلحة الفياض » و « طلحة الجود » .

وعن قبيصة بن جـابر قـال : (ما رأيت رجلاً قط أعطى لجزيـلٌ من المال من غير مسألة من طلحـة بن عبيـد الله » . وقـال سـفيان : وكان أهـل طلحة يقـولـون : إن رسـول الله سماه الفياض)[1] .

وعن مـوسى بن طلحة عن أبيـه طلحة : (أنـه أتاه مال من حضرمـوت سبعمائة ألف ، فبات ليلته يتململ . فقالت له زوجته : مالك ؟ قال : تفكرت منذ الليلة فقلت : ما ظن رجلٌ بربـه يبيت وهذا المال فى بيته ، فقالت : فأين أنت من بعض أخـلائك ؟ فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه ، فقسمها بين المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى على منها بجفنة ، فقالت لـه زوجته : أبـا محمد ، أمـا كان لنـا فى هذا المال من نصيب ؟ قـال : فأين أنت منذ اليـوم ؟ فشأنك ما بقى ، قالت : فكانت صرة فيها نحو ألف درهم)[2] .

وعن على بن يزيـد قال : (جاء أعـرابى إلى طلحة بن عبيـد الله يسأله فتقرب إليـه برحم فقال : إن هذه لـرحم ما سألنى بها أحد قبلك ، إن لى أرضًا قـد أعطانى بها عثمان ثلاثمائة ألف فاقبضها ، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن ، فقال : الثمن ، فأعطاه)[3] .

وكان – رضى الله عنـه – من أكثر الناس برًا بأهلـه وبأقربائه ، فكان يعـولهم جميعًا على كثرتهم .. وقد قيل عنه فى ذلك : كان لا يدع أحدًا مـن بنى تيم عائلاً إلا كفاه مؤنته ، ومؤنه .. وكان يزوج أياماهم ، ويخدم عائلهم ، ويقضى دين غارمهم .

ولقد كـان يرسل إلى السيـدة عائشة – رضى الله عنهـا – إذا جاءت غلتـه كل سنة بعشرة آلاف درهـم [4] .

---

(١) الطبرانى فى الكبير ١/ ١٩٥ قال فى المجمع ٩/ ١٤٨ رجاله ثقات.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٣١ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٣١ .

(٤) الطبقات الكبرى ٣/ ١١٦ .

ويقول السائب بن يزيد : (صحبت طلحة بن عبيد الله فى السفر والحضر فما وجدت أحدًا أعم سخاء على الدرهم ، والثوب ، والطعام من طلحة !)[1] .

وكان - رضى الله عنه - (يلبس رداءً نفيسًا ، فبينما هو يسير إذا رجل قد استله منه ، فقام الناس فأخذوه منه ، فقال طلحة : ردوه عليه ، فلما رآه الرجل خجل منه ورمى به إلى طلحة. فقال طلحة : خذه بارك الله لك فيه ، إنى لأستحى من الله أن يُؤمل فىّ أحد أملاً فأخيب أمله)[2] .

وسمع علىّ - رضى الله عنه - رجلاً ينشد :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا هو ما استغنى ويبعده الفقر

فقال على : ذلك أبو محمد ، طلحة بن عبيد الله .

● مقتله ●

لما حضر يوم الجمل واجتمع به على فوعظه تأخر فوقف فى بعض الصفوف فجاء سهم غرب - أى طائش - فوقع فى ركبتيه ، وقيل : فى رقبته والأول أشهر ، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه وجعل يقول : إلىّ عباد الله ، فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها .. ويقال أنه مات بالمعركة ، وإن عليًا لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال : (رحمة الله عليك يا أبا محمد يعز علىّ أن أراك مجدلاً تحت نجوم السماء ثم قال : إلى الله أشكو سرائرى وأحزانى والله لوددت أنى كنت متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة)[3] .

● وكان مقتله - رضى الله عنه - يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة وهو ابن اثنين وستين سنة أو نحوها وقبره بظاهر البصرة[4] .

☆○□○☆

(١) المصدر السابق ٣/ ١٦٧ .

(٢) مناقب العشرة ٧٢٠ .

(٣) البداية والنهاية ٧/ ٢٢٥٨ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١/ ٣١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٠ .

(٦)

الزبير بن العوام

رضي الله عنه

● اسمه ونسبه ●

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب .

أمه : صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، فهو ابن عمة رسول الله ، وابن أخو السيدة خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - زوج النبى ، ويُكنى أبا عبد الله ، وكانت أمه تكنيه أبا الطاهر .. مات أبوه العوام وهو صغير ، وكان نوفل بن خويلد - عمه - يلى ابن أخيه الزبير ، وكانت أمه صفية تضربه ، وهو صغير ، وتغلظ عليه فعاتبها نوفل وقال : ما هكذا يُضرب الولد ، إنك لتضربينه ضرب مبغضة ، فرجزت به صفية فقالت :

من قال إنى أبغضه فقد كذب وإنما أضربه لكى يَدِبّ

ويهزم الجيش ويأتى بالسلب ولا يكن لما له خبا يخب[1]

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - ربعة أسمر اللون ، خفيف اللحية والعارضين ، أشعر ، وكان لا يغير شيبه . وقيل كان طويلاً تخط رجلاه الأرض إذا ركب ، وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : (كان الزبير طويلاً تخط رجلاه الأرض إذا ركب الدابة ، أشعر وربما أخذت بشعر كتفيه)[2] .

● كان - رضى الله عنه - شجاعًا ، قاتل وهو غلام بمكة رجلاً فكسر يده ، فمُر بالرجل محمولاً على صفية أم الزبير فسألت عنه فقيل لها ما حدث .

فقالت : كيف رأيت زبيرًا ؟ أأقطا وتمراً ، أم مُشمعِلاً سقرًا ؟[3] .

● إسلامه ●

أما عن إسلامه فقد أسلم الزبير مبكرًا وهو ابن خمس عشر سنة ، وكان إسلام الزبير بعد إسلام أبى بكر ، وكان رابعًا أو خامسًا ، فهو أحد السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام ،

(١) الإصابة ٣/ ٧ .

(٢) الطبرانى فى الكبير ١/ ٢٢٥ .

(٣) الإصابة ٣/ ٨ ومشمعلاً الرجل الخفيف ، السقر وهو الصقر يُضرب به المثل فى الحذر والشدة .

وأسهموا مع طليعته المباركة فى دار الأرقم . وعلى الرغم من شرف الزبير ..ومكانته فى قومه ، فقد عُذب حين أسلم وكان الذى تولى تعذيبه عمه..فكان يلفه فى حصير ، ويدخن عليه بالنار حتى تزهق أنفاسه ، ويناديه وهو تحت وطأة العذاب : « اكفر بدين محمد لتنجو من العذاب.. فيجيبه الزبير فى عزم وإصرار وتحدٍ رهيب .. لا .. والله لن أعود للكفر أبدًا »[1] .

ولما يئس عمه أن يثنيه عن دينه ، ويعيده إلى الكفر بعد أن استخدم معه شتى أساليب التعذيب تركه وشأنه ..وهكذا ثبت الزبير بن العوام ، فلم يجثو ولم يخضع ، وخرج من أول امتحان له قويًا ، وثابتًا ، صامدًا ، وضاربًا أروع الأمثلة فى التضحية والفداء .. !

• فى طليعة المهاجرين إلى الحبشة •

(وتمضى الأحداث ، وتمر الأيام والشهور واضطهاد قريش للرسول ﷺ وأصحابه يزداد يومًا بعد يوم ، حتى نبا بهم المقام فى مكة ، وأوعزتهم هذه الاضطهادات أن يفكروا فى حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم .. وفى وسط هذه الساعة الضنكة الحالكة السواد نزلت سورة الزمر[2] .. نزلت تشير إلى الهجرة وتعلن بأن أرض الله واسعة وليست بضيقة .. ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾. [الزمر : ١٠]

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر على أن يحميهم ، ويمنع عنهم هذا العذاب ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه ..! فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارًا بدينهم . وكان فى طليعة المهاجرين : عثمان بن عفان وزوجته رقية ، بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة وزوجته ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير حتى اجتمع فى أرض الحبشة بضعة وثمانون رجلاً . وهكذا كان الزبير - رضى الله عنه - فى طليعة المهاجرين إلى الحبشة فرارًا بدينه !

---

(١) الطبرانى فى الكبير ١/ ٢٣٩ بنحوه وقال فى المجمع رجاله ثقات إلا أنه مرسل .

(٢) صور من حياة الصحابة ٢٢٣ .

● من مناقبه ●

قال عنه أبو نعيم فى الحلية :

(الزبير بن العوام الثابت القوَّام ، صاحب السيف الصارم ، والرأى الحازم ، كان لمولاه مستكينًا ، وبه مستعينًا ، قاتل الأبطال ، وبازل الأموال ..)(١) .

● هاجر الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها بقوة وعزم وثبات جنان وشهامةٍ وحسبة . وهو أحد العشرة ، وأحد الستة الذين جعل عمر - رضى الله عنه - أمر الخلافة شورى بينهم ، وأول من سل سيفًا فى سبيل الله ، ففى الأيام الأولى للإسلام ، والمسلمون يومئذ قلة يستخفون فى دار الأرقم .. سرت إشاعة ذات يوم أن الرسول ﷺ قُتل .. فما كان من الزبير إلا أن استل سيفه فتلقاه النبى ﷺ فقال : مالك يازبير ؟ قال : سمعت أنك قد قُتلت ، فقال : فما كنت صانعًا يا زبير ؟ قال : أردت والله أن أستعرض أهل مكة . وقد دعا له النبى ﷺولسيفه.

● قال عنه النبى ﷺ : (إن لكل نبى حواريًا ، وإن حوارِيَّ الزبير بن العوام)(٢) . وجمع له النبى ﷺ أبويه يوم قريظة فقال الرسول ﷺ : (بأبى وأمى)(٣) وأعطاه سيفه يقاتل به يوم بدر ، وكانت على رأسه عمامة صفراء يوم بدر ، فنزلت الملائكة على سيماه ، وكسى النبى ﷺ والصديق ثيابًا بيضاء حين لقياه فى هجرتهما وهو عائد من تجارة له فى الشام.

● وعن الثورى قال : (هؤلاء الثلاثة نجدة الصحابة : حمزة بن عبد المطلب ، وعلى ابن أبى طالب ، والزبير بن العوام(٤) .

● وكان من أحب الصحابة إلى رسول الله ﷺ ، قال عنه عثمان : أما والذى نفسى بيده إنه لخيرهم ما علمت، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ(٥) . توفى رسول الله وهو عنه راضٍ ، فقد قال عمر : إنهم يقولون استخلف علينا ، فإن حدث لى حدث فالأمر فى هؤلاء الستة الذين فارقهم الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وعدّ منهم الزبير .

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٩.

(٢) البخارى ٣٧١٩ والحوارى هو الذى يصلح للخلافة قاله قتادةوقيل هو الناصر قاله ابن عيينة .

(٣) صحيح سنن الترمذى ٢٩٤٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٥٢.

(٥) صحيح البخارى ٣٧١٧ .

● وكان من الذين نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ولقد مدحه حسان بن ثابت فقال :

أقـام على عهـد النبى وهـديـه ... حـواريه والقـول بـالفعل يعـدلُ
أقـام على منهـاجـه وطـريقـه ... يـوالى ولىَّ الحقّ والحقُّ أعـدلُ
هـو الفـارس المشهـور والبطل الـذى ... يصـول إذا مـا كـان يـوم محجلُ
لـه من رسـول الله قـربى قـريبـة ... ومن نصرة الإسـلام مجد مُـؤثلُ
فكم كُـربـةٍ ذبّ الـزبير بسيفـه ... عـن المصطفـى والله يعطـى ويجزلُ
فما مثلـه فيهم ولا كـان قبلـه ... وليس يكـون الـدهـر مـا دام يـذبلُ
ثنـاؤك خير مـن فعـال معـاشر ... وفعلك يـا ابن الهاشميـة أفضلُ

● قال أبو إسحـاق السبيعى : (سألت مجلسًا فيه أكثر من عشريـن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ : من كان أكرم الناس على رسول الله ؟ قالوا : الزبير وعلى ابن أبى طالب)[1] .

● ومن منـاقبه – رضى الله عنه – أنـه صحب الصديـق فأحسن صحبته .. وتـزوج ابنته أسماء وابنه عبد الله منها أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة ، وخرج مع الناس مهاجرًا فشهد اليرمـوك فتشرفوا بحضـوره ، وكـانت لـه اليد البيضـاء والهمـة العليـاء ، اخترق جيوش الـروم وصفوفهم مرتين من أولهم إلى آخرهم ، وكـان من جملة من دافع عن عثمان – رضى الله عنه – . وقال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – : لو عهدت عهدًا ، أو تركت تركة لكان أحب إلىَّ من أن أجعلها إلى الزبير بن العوام ، فإنه ركن من أركان الدين .

● ورعـه ●

عن عبـد الله بن الـزبير قـال : قلت للـزبير مـا يمنعك أن تحدث عن رسـول الله ﷺ كما يحدث أصحابه ؟ قال : أما والله لم أفـارقه منذ أسلمت ، ولكنى سمعته يقول : « **من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** »[2] .

وفى رواية : والله لقد كان لى منه منزلة ووجهة ولكنى سمعته يقول : وذكر الحديث .

---

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٢/ ٥١٤ .
(٢) البخارى ٣٤٦١ .

● وقد أوصى إلى الزبير سبعة من الصحابة منهم عثمان وابن مسعود ، وعبد الرحمن ابن عوف ، فكان ينفق على الورثة من ماله ، ويحفظ أموالهم [1] .

● زهده ●

● عن نهيك قال : كان للزبير – رضى الله عنه – ألف مملوك يؤدون إليه الخراج وكان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى منزله ليس معه شيء .

● وعن هشام بن عروة عن عروة أن الزبير – رضى الله عنه – بُعث إلى مصر فقيل له إن بها الطاعون فقال : إنما جئت للطعن والطاعون[2] .

● وعن قيس بن أبى حازم قال : سمعت الزبير يقول : (من استطاع أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل)[3] .

● وعن على بن زيد قال : (أخبرنى من رأى الزبير بن العوام وإنّ فى صدره لأمثال العيون من الطعن والرمى)[4] .

● وعن جويرية قالت : (باع الوزير دارًا له بستمائة ألف . قال : فقيل : يا أبا عبد الله غُبنت ، قال : كلا والله لتعلمنَّ أنى لم أغبن .. هى فى سبيل الله ..)[5] .

● وعن عروة عن عائشة – رحمها الله – قال : قالت : إن كان أبوك[6] من ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[7] .

● شجاعته ●

كان – رضى الله عنه – فارسًا مقدامًا منذ صباه.. فلقد كان يوم اليرموك جيشًا وحده .. فحين رأى أكثر المقاتلين الذين كانوا على رأسهم يتقهقرون أمام جبال الروم الزاحفة صاح

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٥ .
(٢) أحمد فى الزهد ١٧٩ .
(٣) أحمد فى الزهد ٧٩ .
(٤) أحمد فى الزهد ١٧٩ .
(٥) صفة الصفوة ١/ ١٠٨ .
(٦) أحمد فى الزهد ١٧٩ .
(٧) سورة آل عمران ١٧٢ .

« الله أكبر » .. واخترق تلك الجبال الزاحفة وحده ضاربًا بسيفه .. ثم عاد راجعًا وسط الصفوف الرهيبة ذاتها وسيفه يتوهج فى يمينه لا يكبو .. ولا يخبو .. ! وكان - رضى الله عنه - شديد الولع بالشهادة ،عظيم الغرام بالموت فى سبيل الله .. وكان يقول : (إن طلحة ابن عبيد الله يسمى بنيه بأسماء الأنبياء ، وقد علم ألا نبى بعد محمد .. وإنى لأسمى بنى بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون .. !

● وها هو فى غزوة أحد ..

فعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان بن حرب : يا معشر الأوس والخزرج ، خلّو بيننا وبين بنى عمنا ، وننصرف عنكم ، فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن .. وخرج رجل من المشركين على بعير له ، فدعا إلى البراز ، فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثة فقام إليه الزبير .. فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه ، فاقتتلا فوق البعير ، فقال رسول الله ﷺ : الذى يلى حضيض الأرض مقتول ، فوقع المشرك ، فوقع عليه الزبير فذبحه فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال : لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه[1] .

كانت مزيته كمقاتل تتمثل فى اعتماده التام على نفسه وفى ثقته الكاملة بها ، فلو كان يشاركه فى القتل مائة ألف ، لرأيته يقاتل وكأنه وحده فى المعركة .. وكأن مسئولية القتال والنصر تقع على عاتقه وحده .. وكانت فضيلته كمقاتل ، تتمثل فى الثبات وقوة الأعصاب .. وحين طال حصار « بنى قريظة » دون أن يستسلموا أرسله الرسول ﷺ مع على ابن أبى طالب فوقف أمام الحصن المنيع يردد مع على قوله : والله لنذوقن ما ذاق حمزة أو لنفتحن عليهم حصنهم . ثم ألقيا بنفسيهما وحيدين داخل الحصن .. وبقوة أعصاب مذهلة ، أحكما إنزال الرعب فى أفئدة المتحصنين داخل الحصن وفتحا أبوابه للمسلمين .. وهكذا كان الزبير .. فكما قال عنه أبو نعيم فى الحلية : صاحب السيف الصارم والرأى الحازم .. قاتل الأبطال ، وباذل الأموال .. !

---

(١) السيرة الحلبية ٤٩٧ .

• مقتله •

لما كان يوم الجمل وذكّره علىٌّ بما ذكّرهُ به فرجع عن القتال وكر راجعًا إلى المدينة ، لقيه ابنه عبد الله فقال : جُبْنًا جُبْنًا ، فقال الزبير : قد علم الناس أنى لست بجبان ، ولكن ذكّرنى على شيئًا سمعته من رسول الله ، فحلفت لا أقاتله ، ثم قال :

ترك الأمور التى أخشى عواقبها   فى الله أحسن فى الدنيا والدين

وقيل إنه أنشد :

ولقد علمت لو أن علمى نافع   أن الحياة من الممات قريبًا

وهو عائد إلى المدينة ، مر بقوم فيهم الأحنف بن قيس ، وكانوا قد انعزلوا عن الفريقين .. فقال قائل يقال له الأحنف : ما بال هذا جمع بين الناس حتى إذا التقوا كرَّ راجعًا إلى بيته ؟ هل من رجل يكشف لنا خبره فاتبعه عمرو بن جرموز فأدركه فى وادٍ يقال له «واد السباع » وهو نائم فى القائلة فقتله ، وهذا هو الأشهر ..!

ولما قُتل الزبير رثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت آخر من تزوجها ، فقالت :

غدر ابنُ جرموز بفارس بهمة   يوم اللقاء وكان غر معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته   لا طائشًا رعد الجنان ولا أكيد
ثكلتك أمك أن ظفرت بمثله   ممن بقى ممن يروح ويغتدى
إن الزبير كذو بلاء صادق   سمح سجيته كريم المشهد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه   عنها طرادك ياابن فقع الغرقد
والله ربى إن قتلت لمسلمًا   حلت عليك عقوبة المتعمد !

● ولما قتله عمرو بن جرموز احتز رأسه وذهب به إلى على ابن أبى طالب ، ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال على : لا تأذنوا له بشروه النار ..!

● وقيل إنَّ ابن جرموز عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى ابن جرموز منه ، فقيل لمصعب : إن ابن جرموز ها هنا ، وهو مختف فهل لك فيه ؟ فقال : مصعب مروة فليظهر فهو آمن ، والله ما كنت لأقتص للزبير منه .. فهو أحقر من أن أجعله عِدلاً للزبير !!

● وقيل أيضًا إن مصعب قال : أنا أقتل ابن جرموز ؟ .. ولابشسع نعله .

ولقد كان مقتله – رضى الله عنه – يوم الخميس لعشرة خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، وقد نيف على الستين بست أو سبع [1] .

☆○□○☆

(١) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ٦٤ ، والطبقات لابن سعد ٣/ ١٤٣ .

(٧)

عبد الرحمن بن عوف



● اسمه ونسبه ●

هو عبد الرحمٰن عوف بن ثابت بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشى ، ويُكنى أبا محمد .

أمه : الشفاء بنت عوف .. يقال إنها هى التى تولت ولادة النبى ﷺ وكانت قابلته ، أسلمت وهاجرت .

وكان اسم عبد الرحمٰن - رضى الله عنه - فى الجاهلية عبد عمرو ، وقيل عبد الحارث ، وقيل عبد الكعبة ، فسماه النبى ﷺ عبد الرحمٰن وسماه أيضًا الصادق البار .. قال عن نفسه : (كان اسمى فى الجاهلية عبد الكعبة فسمانى رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن)[1] .

● صفته ●

كان - رضى الله عنه - طويلاً حسن الوجه ، منضور الطلعة ، رقيق البشرة ، أبيض اللون مشربًا بحمرة ، لا يغير لحيته ولا رأسه ، ضخم الكفين ، غليظ الأصابع ، أقنى[2] له جمة أسفل أذنيه ، واسع العينين ، طويل شعر الأجفان ، وقال ابن اسحاق: كان ساقط الثنيتين ، أعرج ، أصيب يوم أحد فهُتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها فى رجله فعرج ..!!

● إسلامه ●

أسلم- رضى الله عنه - قبل أن يدخل النبى ﷺ دار الأرقم .. فهو أحد السابقين إلى الإسلام .. وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر .. وأحد الستة أصحاب الشورى يوم اختيار الخليفة بعد الفاروق عمر - رضى الله عنه - وأحد النفر الذين كانوا يفتون فى المدينة ورسول الله ﷺ حى قائم بين بين ظهرانى المسلمين .. أسلم بعد إسلام الصديق بيومين ، وأسلم معه أخوه لأبويه الأسود .

---

(١) الطبرانى فى الكبير ١/ ٢٥٤ ، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٣٠٦ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

(٢) أسد الغابة ٣/ ٤٨٠ وأقنى : طويل الأنف ، والجمة : شعر الرأس الساقط على المنكبين .

● ولما أسلم عبد الرحمٰن بن عوف قال : وأنا الذى أقول فى إسلامى :

أجبت منادى الله لما سمعته ينادى إلى الدين الحنيف المكرم
فقلت له بالبعد لبيك داعيًا إليك متابى ، بل إليك تيمُم
أجوب الفيافى من أفاويق حمير على خلعم[1] خلد القوائم صلقم
بأنباء صدق علمتها موفق ولا العلم إلا باطلاب التعلم
فكم مخبر بالحق فى الناس ناصح وآخر أفاك كثير التوهم
ألا إن خير الناس فى الأرض كلهم نبى جلاعنا شكوك الترجم
نبى أتى والناس فى أعجمية وفى سدف فى ظلمة الكفر معتم
فأقشع بالنور المضئ ظلامه وساعده فى أمره كل مسلم
وخالف الأشتون من كل فرقة فسحقًا لهم فى مهوى جهنم[2]

● فى طليعة المهاجرين ●

وبعد إسلامه لقى من العذاب فى سبيل الله ما لقيه المسلمون الأوائل ، فصبر وصبروا وثبت وثبتوا ، ، وفرّ بدينه إلى الحبشة ، وهاجر إلى المدينة ، وكان فى طليعة المهاجرين ، ولما آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى ، فقال سعد لأخيه عبد الرحمٰن بن عوف : أى أخى : أنا أكثر أهل المدينة مالاً وعندى بستانان ، ولى امرأتان فانظر أى بستانى أحب إليك حتى أخرج لك عنه ، وأى امرأتىّ أرضى عندك حتى أطلقها لك .

فقال عبد الرحمٰن بن عوف لأخيه سعد بن الربيع بارك الله لك فى أهلك ومالك دلنى على السوق .. فدله على السوق فجعل يتجر وأخذ يشترى ، ويبيع ، ويربح حتى صار من أغنياء المدينة فتزوج فقال له : (النبى ﷺ : وما أعطيت زوجتك من المهر ؟ قال : وزن نواة من الذهب .. قال : أو لم ، ولو بشاة)[3] .

قال عبد الرحمٰن : فأقبلت الدنيا علىّ حتى رأيتنى لو رفعت حجرًا لوجدت تحته فضة وذهبًا .

(١) الخلعم : الضخم من الإبل . (٢) تاريخ دمشق ٣٥/ ٢٥٣ .
(٣) البخارى ٣٧٨١ بنحوه عن أنس .

● من مناقبـه ●

كان – رضى الله عنه – من قـديمى الإسلام والهجرة ، شهد بدرًا والمشاهد كلها ، وثبت يوم أُحـد ، وأصابته عشرون جـراحة فهتم وعُرج ، وهـو أحد العشرة وأحد الستـة أهل الشورى الذين ، أخبر عمر أن رسول الله ﷺ توفى وهـو عنهم راضٍ ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبوبكر ، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ومن المفتين فى عهد رسول الله ﷺ وأرسله النبى إلى بنى كلب بدومـة الجندل وعمّمه بيده وسـدلها بين كتفيه ، ومن مناقبه أن الـرسول ﷺ صلى خلفه . فعن عمـرو بن وهب الثقفى قال : (كنا مع المغيرة بن شعبـة فسئل : هل أمّ النبى أحدٌ من هذه الأمة غير أبى بكر ؟ فقال : نعم ، فذكر أن النبى ﷺ توضـأ ومسح على خفيه وعمامته وصلى خلف عبد الرحمٰن بن عوف وأنا معه ركعة من الصبح ، وقضينا الركعة التى سُبقنا[1] .

● ومن مناقبه أنـه من أهل هذه الآية : ﴿ لقـد رضى الله على المؤمنين إذ يبـايعونك تحت الشجرة ﴾[الفتح: ١٨] .

● ومن مناقبه : أن الرسول ﷺ قال : (خيـاركم خياركم لنسائى فأوصى لهم عبد الرحمٰن ابن عوف بحديقة قوّمت بأربعمائة ألف)[2].

● أخبر النبى ﷺ (أنه سبقت له السعادة وهـو فى بطن أمه : ووصفه بقوة الإيمان وأخبر أنه أمين فى الأرض)[3] . وقال : (سقى الله عبد الرحمٰن بن عوف من سلسبيل الجنة)[4].

● وعن عبد الرحمٰـن بن حميـد عن أبيـه قال : (قال المسـور بن مخرمـة : بينما أنا أسـير فى ركب فيه عثمان بن عفان ، وعبـد الرحمٰن بن عوف قدامى وعليه خميصـة سوداء ، فقال عثمان ابن عفـان : من صاحب الخميصـة السـوداء ؟ قـالوا : عبد الرحمٰن بن عـوف ، فنادانى عثمان يا مسـور ، فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين . فقال : من زعم أنه خير من خـالك فى الهجرة الأولى والثانية فقد كذب)[5] .

---

(١) أحمد فى المسند ٤/ ٢٤٦ .

(٢) الحاكم فى المستدرك ٣/ ٣١١ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

(٣) الحاكم فى المستدرك ٣/ ٢١٠ .

(٤) الحاكم فى المستدرك وصححه ٣/ ٣١١ ، وهو فى الصحيحة للألبانى ١٥٩٤ .

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٥/ ٢٥٣.

● جوده وسخاؤه ●

أما عن جوده وسخاؤه ،فقد كان كثير الأموال ، متين الحال ، تجود يده بالعطيات ، وهو قدوة ذوى الثروة والجدات ، فى الانفاق على المتقشفين من ذوى الفاقات .. !

عن ابن عباس قال : (جئت إلى رسول الله ﷺ بعد خروجه من الطائف بستة أشهر ، ثم أمره الله عز وجل بغزوة تبوك - وهى آخر غزوة غزاها فى حياته - وهى الغزوة التى ذكر الله ساعة العسرة وذلك فى حر شديد ، فقد كثر النفاق، وكثر أصحاب الصُفة ، والصُفة بيت كان لأهل الصدقة يجتمعون فيه فتأتيهم صدقة النبى والمسلمين ، وإذا حضر غزو عمد المسلمون إليهم فاحتمل الرجل الرجل ، أو ما شاء الله بشبعه ، فجهزوهم ، وغزوا معهم ، واحتسبوا عليهم ، فأمر رسول الله المسلمين بالنفقة فى سبيل الله والحسبة ، فأنفقوا احتسابًا ، وأنفق رجال غير محتسبين ، وحمل رجال من فقراء المسلمين ، وبقى أناس وأفضل ما تُصدق به أحد يومئذ : عبد الرحمٰن بن عوف تصدق بمائتى أوقية .. وقال عمر : يا رسول الله : إنى لأرى عبد الرحمٰن ابن عوف إلا قد اخترب ماله ، ما ترك لأهله شيئًا .. فسأله رسول الله ﷺ : تركت لأهلك شيئًا ؟ قال : نعم أكثر مما أنفقت وأطيب ، قال : كم ؟ قال : ما وعد الله ورسوله من الخير والرزق ...)[1] .

● ولقد بلغ من جوده وسخاؤه بالمسلمين وأمهات المؤمنين ، أنه باع أرضًا له بأربعين ألف دينار فقسمها وجاد بها . فعن أم بكر بنت المسور : (أن عبد الرحمٰن بن عوف باع أرضًا له من عثمان بأربعين ألف دينار ، فقسمها فى فقراء بنى زهرة وفى المهاجرين ، وأمهات المؤمنين.

قال المسور : فأتيت عائشة بنصيبها ، فقالت : من أرسل بهذا ؟

قلت: عبد الرحمٰن بن عوف ! قالت : أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يحنو عليكن بعدى إلا الصابروين ، سقى الله بن عوف من سلسبيل الجنة)[2] .

● ولقد بلغ من سعة عطاءه وعونه أنه كان يقال : أهل المدينة جميعًا شركاء لابن عوف فى ماله .. فعن طلحة بن عبيد الله بن عوف قال : (كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمٰن بن عوف ثلث يقرضهم ماله .. وثلث يقضى دينهم .. وثلث يصلهم ويعطيهم)[3] .

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٥/ ٢٦٢ .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٢٤٦٠٥ ، وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح وهو فى الصحيحة للألبانى ١٥٩٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى ١/ ٨٨ .

● سرية دومة الجندل ●

(بعث رسول الله ﷺ إلى عبد الرحمٰن بن عوف فأقعده بين يديه وعممه بيده وقال : تجهز ، فإنى باعثك فى سرية من يومك هـذا أو من الغد إن شـاء الله ، ثم أمره أن يسرى من الليل إلى دومة الجنـدل فى سبعمائة ، وعسكروا خارج المدينة ، فلما كـان وقت السحر ، جاء عبـد الرحمٰن ابن عوف إلى رسـول الله وقال : أحببت أن يكون آخـر عهدى بك ، وكان على رأسـه عمامة من قطن قد لفها على رأسه ، فنقضها رسول الله بيـده ثم عممه بعمامة سوداء وأرخى بين كتفيه منها أربع أصابع أو نحوًا من ذلك ثم قال : هكذا يا ابن عوف فاعتم فإنه أحسن وأعرف . . ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء ، فدفعه إليه ، وقام ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على نفسه ، ثم قال : خذه يـا ابن عوف . وقال : اغز بسم الله وفى سـبيل الله ، فقاتل من كفـر بالله ولا تغـل ، ولا تغدر فهذا عهد الله وسنة نبيكم فيكم ، ثم قال ﷺ : إذا استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم .. فسار عبد الرحمٰن بن عـوف حتى قدم دومة الجندل ، فمكث ثلاثة أيـام يدعوهم إلى الإسلام ، وهم يأبـون .. ويقـولـون: لا نعطى إلا السيف .. وفى اليـوم الثـالث أسلم ملكهم الأصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانيًا ، وأسلم معه ناس كثير من قومه .. فأرسل عبد الرحمٰن بن عوف إلى رسول الله يعلمه بذلك .. وأنه يريـد أن يتزوج ابنة ملكهم .. فكتب إليه رسول الله ﷺ أن تزوج بنت الأصبـغ ، فتزوجهـا وبنى بهـا عندهـم وقـدم بهـا إلى المدينـة ، وهى أم ولـده سلـمة ابن عبد الرحمٰن بن عوف .. ولم تلد غير سلمة)(١) .

● زهـده وورعـه ●

● عن سعيد أن (سعـد بن أبى وقاص أرسل إلى عبـد الرحمٰن بن عـوف رجلاً وهـو قائم يخطب – وذلك فى أمر الشـورى – أن ارفع رأسك إلى أمر النـاس – أى ادع إلى نفسك – فقال عبد الرحمٰن : ثكلتك أمك !! إنه لن يلى هذا الأمر بعد عمر إلا لامة الناس)(٢) .

● وعن أم بكر عن أبيها المسـور قال : (لما ولى عبد الرحمٰن بن عـوف الشورى كان أحب الناس إليه أن يليه ، فإن ترك فسعد .. فلحقنى عمـرو بن العاص فقال : ما ظن خالك – وكان عبد الرحمٰن خال المسـور – عبد الرحمٰن بالله إن ولى هذا الأمر أحـدًا وهو يعلم أنه خير منه .. ؟

---

(١) السيرة الحلبية ٣/ ١٨٣، تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٥/ ٢٦١ ، والطبقات لابن سعد ٣/ ٦٨.

(٢) سيرة أعلام النبلاء ١/ ٧٨ .

قال المسور : فأتيت عبد الرحمٰن بن عوف فذكرت ذلك له . فقال : (والله لأن تؤخذ مدية فتوضع فى حلقى ، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إلىّ من ذلك ..)[1] .

● وعن عبد الرحمٰن بن أزهر عن أبيه عن جده .. (أن عثمان اشتكى رعافًا فدعا حمران إلى عبد الرحمٰن بن عوف بالبشرى ! فقال ابن عوف : وما ذاك ؟ قال ؟ إن عثمان قد كتب لك العهد من بعده ! فقام عبد الرحمٰن بين القبر والمنبر ، فدعا فقال : اللهم إن كان من تولية عثمان إياى هذا الأمر ، فأمتنى قبله .. فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله .. !!)[2].

● ولقد أُوتى ذات يوم بطعام - وهوصائم - فنظر إليه ثم قال : (لقد قُتل مصعب بن عمير - وهو خير منى - فما وجدنا له إلا بردة .. إن غطى رأسه بدت رجلاه .. وإن غطى رجلاه بدت رأسه .. وقال قُتل حمزة - وهو خير منى - ثم بسط الله لنا من الدنيا ما بسط - أو قال - أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا .. ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام .. !!)[3] .

● توليه أمر الحج ●

لما استخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة (بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمٰن ابن عوف فحج بالناس .. وحج مع عمر أيضًا آخر حجة سنة ثلاث وعشرين.. وأذن عمر تلك السنة لأزواج النبى ﷺ فى الحج ، فحملن فى الهوادج ، وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمٰن بن عوف .. فكان عثمان يسير على راحلته أمامهن فلا يدع أحدًا يدنو منهن ، وكان عبد الرحمٰن بن عوف يسير من ورائهن فلا يدع أحدًا يدنو منهن، ولما استخلف عثمان سنة أربع وعشرين .. بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمٰن بن عوف فحج بالناس)[4] .

● وفاته ●

لما حضرت عبد الرحمٰن بن عوف الوفاة أعتق خلقًا كثيرًا من مماليكه .. وأوصى لكل رجل بقى من أهل بدر بأربعمائة دينار ذهبًا ، وكان عددهم مائة .. وأوصى لكل واحدة من أمهات

(١) الطبقات لابن سعد ٣/ ٩٤ - ٩٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٨٨ .

(٣) صفة الصفوة ١/ ١١١ . (٤) الطبقات لابن سعد ٣/ ١٠٠ .

المؤمنين بمال كثير .. وتوفى - رضى الله عنه - سنة اثنين وثلاثين من الهجرة وهو يومئذ ابن خمس وسبعين سنة .. وكان سعد بن مالك عند قائمتى سرير عبد الرحمٰن وهو يقول: واجبلاه.. ووضع السرير على كاهله.. وقال على بن أبى طالب يوم مات عبد الرحمٰن بن عوف : اذهب ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت كدرها !! وصلى عليه عثمان بن عفان .

● عن أيوب بن محمد : (أن عبد الرحمٰن بن عوف توفى وكان فيما ترك ذهب قُطّع بالفؤوس حتى مجلت منه أيدى الرجال ، وترك أربع نسوة صولحات بثمانين ألفًا)[1].

☆○□○☆

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٠١ .

(٨)

سعد بن أبى وقاص

رضي الله عنه

• اسـمه ونسبه •

هو سعد بن مالك ، وهو سعد بن أبى وقاص .. واسم أبى وقاص.. هو مالك بن وهب وقيل بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب .. يجتمع مع النبى ﷺ فى مرة ، وينسب إلى زهرة بن كلاب فيقال : القرشى الزهرى .. ويجتمع مع عبد الرحمٰن بن عوف فى زهرة .. ويُكنى أبا إسحاق ..

أمه : حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس(١).

كان سعدخال النبى ﷺ يدل على ذلك ما جاء عن جابر – رضى الله عنه – قال : (كنا مع رسول الله إذ أقبل سعد بن مالك فقال رسول الله : هذا خالى فليرنى امرؤ خاله)(٢) .

قال الذهبى : (لأن أم النبى ﷺ زهرية ، وهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابنة عم أبى وقاص)(٣) .

• صفته •

كان – رضى الله عنه – (رجلاً قصيرًا ، دحداحًا ، غليظًا ، ذا هامة ، شثن الأصابع ، أشعر ،وكان يخضب شعره بالسواد)(٤) .

• إسلامه •

أسلم قديمًا قبيل أن تفرض الصلاة ، وكان يومئذ يستقبل ربيعة السابع عشر .. قال عن نفسه : (ما أسلم أحد إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام)(٥) . وهكذا كان إسلامه مبكرًا .. ولكن إسلام سعد بن أبى وقاص لم يمر سهلاً هينًا

---

(١) أسد الغابة ٢/ ٢١٤ ترجمة رقم ٢٠٣٧ .
(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٥١ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١/ ١١٠ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٩٧ .
(٥) البخارى ٣٧٢٧ .

وإنما عرّض الفتى المؤمن لتجربة من أقسى التجارب قسوة.. وأعنفها عنفًا .. حتى إنه بلغ من قسوتها وعنفها أن أنزل الله سبحانه فى شأنها قرآنًا .. وها هو يقص : علينا هذه التجربة الفذة..قال : (كنت برًا بأمى فلما أسلمت ، قالت : يا سعد ! ما هذا الدين الذى أحدثت ؟ لتدعن دينك هذا أو لاآكل ولا أشرب حتى أموت فتُعير بى ، فيقال : يا قاتل أمه ، قال : فقلت : لا تفعلى يا أمه إنى لا أدع دينى هذا لشىء ، فمكثت يومًا لا تأكل ولا تشرب وليله - وفى رواية للترمذى - فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها - وأصبحت وقد جهدت ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه ! تعلمين والله لو كان لك مائة نفس ، فخرجت نفسًا نفسا ، ما تركت دينى . إن شئتِ فكلى أو لا تأكلى . فلما رأت ذلك أكلت .. !)[1] فأنزل الله فينا قوله تعالى :﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[لقمان :١٥] .

(وهكذا انتصر الإيمان على فتنة القرابة والرحم .. واستبقى البر والإحسان .. وإنّ المؤمن لعرضة لمثل هذه الفتنة فى كل آن فليكن بيان الله .. وفعل سعد هما راية النجاة والأمان فالمؤمنون أهل ورفاق ولو لم يعقد بينهم نسب ولا صهر . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٩] .

.. وهكذا يعود الموصلون بالله جماعة واحدة .. كما هم فى الحقيقة .. وتذهب روابط الدم والقرابة والنسب والصهر .. وتنتهى بانتهاء ، الحياة الدنيا .. فهى روابط عارضة لا أصلية .. وانقطاعها عن العروة الوثقى التى لا انفصام لها ..)[2] .

باختصار موقف سعد نستطيع تلخيصه فى كلمتين.. كلمتين فقط !! الولاء والبراء .. الولاء لله ورسوله .. والبراء من كل ما سواهما .. !!

● من مناقبه ●

كان - رضى الله عنه - من المهاجرين الأولين شهد بدرًا وما بعدها .. وكان يقال له فارس الإسلام. وهو أحد العشرة .. وأحد السبعة السابقين إلى الإسلام .. وأحد الستة أصحاب الشورى .. وكان يحرس النبى ﷺ فى مغازيه . فعن عائشة قالت : (سهر رسول الله

(١) صحيح مسلم ١٧٤٨ .

(٢) الظلال للشهيد سيد قطب٥/ ٢٧٦٦ .

مقـدمه المدينـة ليلة فقـال : ليت رجلاً صـالحًا يحرسنى الليلة . قـالت : فبينا نحن كـذلك إذ سمعنا خشخشة السلاح ، فقال : من هذا ؟فقـال : سعد بن أبى وقاص ، فقال له النبى ﷺ : ما جاء بك ؟ فقال : وقع فى نفسى خـوف على رســول الله فجئت أحرســه ، فدعا له رســول الله ، ثم نام)[1] .

● وجمع له النبـى ﷺ أبويه يـوم أحد فقـال: (ارم سعد ! فـداك أبى وأمى)[2] ودعا له أيضًا فقال : (اللهم استجب لسعد إذا دعاك)[3] .

● دعى له النبى بالشفاء من مرضه فشُفى ، فعن عـائشة بنت سعد قالت : (قال سعد : اشتكيت بمكة فدخل علىّ رسول الله يعـودنى ، فمسح وجهى وصدرى وبطنى ، وقال : اللهم اشف سعدًا ، فما زال يخيل إلىّ أنى أجد برد يده ﷺ على كبدى حتى الساعة)[4] .

● كان أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، ولقد بعث رسول الله سرية فيها سعد إلى جانب من الحجاز يُـدعى رابغ ، وهو من جانب الجحفـة ، فلما انكفأ المشركون على المسلمين حماهم سعد يومئذ بسهامه ، فكان أول قتال فى الإسلام . وفى هذا قال سعد :

ألا أنـبئ رسـول الله أنى حميت صحابتى بصدور نبلى

فما يُعتـدُ رامٍ فى عــــدو بـسهم يا رســول الله قبـلى

وعن عـامر بن سعـد عن أبيه قال : (كـان رجل من المشركين قـد أحرق المسلمين – أى قتـلاً– فقال رسـول الله : ارم فداك أبى وأمى ، فنـزعت سهم ليس فيه نصل فأصبت جبهتـه ، فوقع وانكشفت عورته ، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه)[5] .

● أثنى عليه عمـر ، وأهّله للخلافة .. وكـان أميرًا على الجيوش الذين هزمـوا الفرس فى القادسية ، وبجلـولاء ، وفتح مدائن كسرى والعراق .. وقد نزل فيه وبسببـه آيات من كتاب الله

(١) صحيح سنن الترمذى ٢٩٥٤ .
(٢)صحيح سنن الترمذى ٢٩٥٣ .
(٣) صحيح سنن الترمذى ٢٩٥٠ .
(٤)صحيح البخارى ٥٦٥٩ .
(٥) صحيح مسلم ٢٤١٢ .

منهـا : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان : ١٥] . وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ﴾ [الأنفال : ١] ، وهو من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٢] .

● وسأل عمر بن الخطاب عمرو بن معـد يكرب عن خبر سـعد بن أبى وقاص فقال : (متواضـع فى خبائه ، عـربى فى بردتـه ، أسـد فى عـرينه ، يعـدل فى القضية ، ويقسـم بالسوية)[١] .

وقـال الحسن : لما كان الهُيـج – أى لما كانت الفتنـة – فى النـاس جعل رجل يسأل عن أفاضل الصحابة ، فكان لا يسأل أحدًا إلا دله على سعد بن أبى وقاص .

●ومن مناقبه أنه اعتزل الفتنـة وأمر أهل بيته ألا يخبروه عن شىء حتى تنجلى أحداثها .. فعن عمر بن سعد أن أباه سعدًا ، كان فى غنم له فجاء ابنه عامر ، فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هـذا الـراكب ، فلما انتهى قـال : يـا أبة أرضيـت أن تكون أعـرابيًـا فى غنمك والنـاس يتنازعـون الملك بالمدينة ، فضرب صدر عـامر وقال : فإنى سمعت رسـول الله يقول : (إن الله عز وجل يحب العبد التقى الغنى الخفى)[٢] .

● وقال عنه أبو نعيم فى حلية[٣] الأولياء :

(.. وأمـا سعد بن أبى وقـاص فقديم السبـق إلى الإسلام .. بـدء أمره مقـاساة الشـدة ، واحتمال الضيقة ، وهو مع الرسول ﷺ بمكة هوّن عليه تحمل الأثقال، ومقارفة العشيرة والمال ، لما باشر قلبه مـن حلاوة الاقبال ، ونصر على الأعداء بالمقـاتلة والنضال ، وخُص بـالإجابة فى المسألة والابتهال ، ثم ابتلى فى حالـة الإمارة والسياسة[٤] ، وامتحن بالحجابـة والحراسة ، ففتح على يديـه السواد والبلدان ، ومنح عدة من الإنـاث والذكران ، ثم رغب عن العمالة والـولاية ، وآثر العزلة والرعـاية ، وتلافى ما بقى من عمره بالعناية ، فهـو قدوة من ابتلى فى حالة التلوين ،

(١) أسد الغابة ٢/ ٢١٦ .

(٢) مسلم ٢٩٦٥ .

(٣) ١/ ٩٢.

(٤) سوف نتحدث عن ذلك قريبًا .

وحجة من تحصن بالوحدة والعزلة مع التفنين إلى أن تتضح له الشبهة بالحجج والبراهين ..!!) ا. هـ .

وأخباره – رضى الله عنه – فى الشجاعة ، والشدة فى دين الله واتباع السنة والزهد والورع وإجابة الدعوى والتواضع والصدق كثيرة واسعة[1] .

● المجاب الدعوة ●

لقد كان – رضى الله عنه – مجاب الدعوة ..فقد دعا له النبى ﷺ فقال : (اللهم استجب لسعد إذا دعاك)[2] . فكان– رضى الله عنه – مجاب الدعوة ، ومن ذلك ما رواه أيضًا عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال : (شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر – رضى الله عنه – فعزله واستعمل عليهم عمَّارًا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى ، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى . قال أبو إسحاق : أما أنا والله فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها ، أصلى صلاة العشاء فأركد فى الأوليين وأخف فى الآخرين . قال : ذلك الظن بك يا أبا إسحاق . فأرسل معه رجلاً أو رجالاً إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ، ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه ويثنون عليه معروفًا . حتى دخل مسجدًا لبنى عبس ، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة ، قال : أما إذنشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ولا يعدل عن القضية . قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءًا وسمعة فأطل عمره ، وأطل فقره، وَعَرِّضْهُ بالفتن . وكان بعد إذاسُئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتنى دعوة سعد . قال عبد الملك : فإن رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطريق يعمزهن)[3] .

● وعن مصعب بن سعد : (أن سعدًا خطبهم بالكوفة فقال : يا أهل الكوفة ! أىُ أمير كنت لكم؟ فقام رجل فقال: اللهم إن كنت ما علمتك لا تعدل فى الرعية ولا تقسم بالسوية ،

(١) الرياض المستطابة ٩٤ .

(٢) صحيح سنن الترمذى ٢٩٥٠ .

(٣) البخارى ٧٥٥ واللفظ له ، مسلم ٤٥٣ .

ولا تغزو فى السرية، فقال سعد : اللهم إن كان كاذبًا ، فأعم بصره ، وعجِل فقره ، وأطل عمره ، وَعَرِّضْهُ للفتن، قال : فما مـات حتى عمى فكان يلتمس الجدرات ، وافتقر حتى سأل الناس ، وأدرك فتنة المختار فقتل)[1] .

● وعن مصعب بن سعد ، (أن رجلاً نـال من على - سبّه- فنهاه سعد ، فلم ينتـه فدعا عليه ، فما برح جاء حتى بعير ناد فخبطه حتى مات)[2] .

● موقعة القادسية ●

(تـولى الفاروق عمـر الخلافة بعـد الصديـق وفى نيته أن يـواصل مسيرة الفتوحـات التى بدأت فى عهد الصديق ، وكان المثنى بن حارثة يغير على أرض فارس .. ولقد قام المثنى - رحمه الله - بمراسلـة الفاروق عمر ، كما هو متبع ، فأطلعـه على تدبير الفرس وحشـودهم وكفر أهل السواد ونقضهم العهـود ، فقام الفاروق على الفور بـاعداد العدة لـذلك قائلاً : والله لأضربن ملوك العجم بملـوك العرب ، فلم يـدع رئيسًا ولا ذا شرف ولا خطيبًـا ولا شاعـرًا إلا أرسله إلى جبهة القتال ، وأرسل إلى المثنى يأمره بالخروج إلى حدود دولـة الفرس ، ثم أرسـل أمرًا قياديًا أن لا يدعـوا فى ربيعة أو مضـر والحلفـاء أحـدًا من أهل القوة والنجـدة ولا فارسًـا إلا أحضروه ، إما طـوعًا أوكـرهًا ، وبعث إلى عماله بـذلك فجاءت الامـدادات من كل مكان ، وفى أول محرم سنة أربع عشرة سار عمر بالناس حتى بلغ « صرار » فعسكر به[3] ، وجعل طلحة بن عبيد الله فى المقـدمة ، وجعل عبـد الرحمن بن عـوف على الميمنة ، واستشـار الناس فأشـاروا عليه جميعًـا بالسير ، إلا أن عبـد الرحمن بن عوف نهاه عن الخروج قائلاً : يـا أمير المؤمنين فداك أبى وأمى ، أقم هنا بالمدينة وابعث قـائدًا على جيشك فليس ذلك كهزيمتك ، وإنك إن تهزم أو تقتل يرتد

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى ١/ ١١٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ١١٦ وناد يقال : ندا البعير . فهو ناد : إذا شرد ونفر .

(٣) الطبرانى ٣/ ٤٨٠ وانظر تاريـخ الدعـوة إلى الإسـلام فى عهـد الفاروق عمر د/ يسرى محمـد هانى ٣٨٧ وما بعدها .

المسلمون . فقال عمر : فأشيروا علىّ برجل، فقال عبد الرحمٰن بن عوف : وجدته. قال : من هو ؟ فقال : الأسد فى براثنه سعد بن مالك ، فوافق أولو الرأى فاستدعاه عمر ، وعقد له لواء الجيش .. ولما همّ الجيش الكبير بأن يفصل عن المدينة ، وقف عمر بن الخطاب يودعه ويوصى قائده فقال : « يا سعد : لا يغرنك أن قيل : خال رسول الله وصاحبه .. فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته .. والناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء .. الله ربهم وهم عباده.. يتفاضلون بالعاقبة ، ويدركون ما عند الله بالطاعة .. فانظر الأمر الذى رأيت رسول الله ﷺ منذ بُعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه ، فإنه الأمر ... » .

ومضى الجيش المبارك وفيه تسعة وتسعون بدريًا وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت لهم صحبة فيما بين بيعة الرضوان فما فوق ذلك ، وثلاثمائة ممن شهدوا فتح مكة مع رسول الله ﷺ ، وسبعمائة من أبناء الصحابة ومجموع الجيش بضعة وثلاثون ألفًا ، يقابلهم من الفرس مائة وعشرون ألفًا .. وتولى قيادتم « رستم » أشهر وأخطر قوادهم ، ويكتب سعد إلى عمر ، فيكتب إليه عمر : « لا يكربنك ما تسمع منهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأى والجلد ، يدعونه إلى الله .. واكتب إلىّ فى كل يوم .. » .

ويرسل سعد إلى رستم قائد الفرس نفرًا من أصحابه يدعونه إلى الله وإلى الإسلام .. ويطول بينهما الحوار .. ويعود الوفد إلى قائد المسلمين سعد ليخبروه أنها الحرب .. وقد استعد الفرس للمنازلة والقتال .. وأخذ القراء يقرأون سورة الجهاد - الأنفال - فلما سمعها الجيش هشّت القلوب .. وذرفت العيون ، وعرف الناس السكينة.. وكبّر سعد فكبّر الذين يلونه ، ثم من سواهم والتقى الجمعان .. واقتتلوا قتالاً شديدًا دام أيامًا .. وفى اليوم الثالث كانت ليلة الهرير حيث اشتد المسلمون على الفرس ، ونادى سعد فى قومه بالثبات فصبروا حتى طلع النهار وقتل هلال بن علفة رستمًا فانهزم الفرس .. وغنم المسلمون أموالاً كثيرة .. ثم طاردهم سعد إلى جلولاء فأوقع بهم وأسر إحدى بنات كسرى وعددًا كبيرًا من الفرس .. وكتب سعد إلى الفاروق يبشره بالفتح المبين)[1] .

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام فى عهد الفاروق د/ يسرى هانى ٣٨٧ وما بعدها بتصرف يسير .

● فتح المدائن عاصمة الفرس ●

وفى موقعة « المدائن » أبلى سعد بلاءًا عظيمًا .. وكانت موقعة المدائن، بعد موقعة القادسية بقرابة عامين ، جرت خلالها مناوشات مستمرة بين الفرس والمسلمين ، حتى تجمعت فلول الجيش الفارسى وبقاياه فى المدائن .. متأهبة لموقف أخير وفاصل .. ولنبدأ العرض التاريخى:

● حين فر الفرس من (بهرسير) بنوا خطتهم الحربية على سحب جميع السفن والمعابر ما بين المدائن وتكريت ، وأقام سعد أيامًا يفكر ماذا يفعل لعبور دجلة وهى فى فيضانها الزائد الذى جعلها تموج .. وترمى بالزبد ، ثم وصل إلى علمه أن « يزدجرد » سوف يقوم خلال ثلاثة أيام بنقل كل شىء إلى المدائن ، فماذا يفعل القائد وقد تبدى أمامه ثلاثة أشياء :

(أ) فقدان جميع السفن والمعابر وهذا أمر يجعل أى قائد يحتار حيرة شديدة ، فكيف يعبر إذن ؟

(ب) فيضان دجلة الذى اشتد فى تلك الأيام مما يشكل مانعًا شديدًا أمام أى عبور !

(جـ) هروب كسرى بالكنوز فى خلال ثلاثة أيام ، مما يجعله على استعداد لتقوية جيشه !

واستعان سعد بالله .

وفكر مليًا ثم جاء إلى المسلمين فخطب فيهم خطبة بليغة[1] من عيون الخطابة الجهادية الحربية ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر .. فلا تخلصون إليه معه- أى تصلون إليه - ويخلصون إليكم إذا شاءوا وليس وراءكم شىء تخافون أن تؤتوا منه ، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، إلا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعًا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .. وعندئذ ندب الناس إلى العبور » .

وقبل أن يبدأ الجيش عملية العبور ، فطن « سعد » إلى وجوب تأمين مكان الوصول على الضفة الأخرى التى يرابط العدو حولها .. فتقدم عاصم بن عمرو فى ستمائة من المجاهدين

(١) المصدر السابق ٣٩٣ .

وجعله « سعد » أميرهم فعبر بهم فى ستين فارسًا واقتحموا دجلة ، فلما رآهم الفرس أخرجوا لهم خيولاً لتقضى على هذه الطليعة من جيش المسلمين ، فأمر عاصم رجاله باستخدام الرماح وقال لهم : توخوا العيون ، فالتقوا وأطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا ، ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم ، وتلاحق الستمائة وحموا جانب الفرات ، فأمر سعد الناس باقتحامه وقال : قولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه.. والله لينصرنَّ الله وليه.. وليظهرنَّ دينه.. وليهزمنَّ عدوه .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وتلاحق الناس فى دجلة .. وأنهم يتحدثون كما يتحدثون فى البر .. وطبقوا دجلة حتى ما يُرى من الشاطىء شىء ، وكان الذى يساير سعدًا سلمان الفارسى ، فعامت بهم خيولهم وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل .. والله لينصرنَّ الله وليه .. وليظهرنَّ دينه .. وليهزمنَّ عدوه، إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تقلب الحسنات ، فقال له سلمان الذى أخذ يضرب كفًا بكف دهشة وغبطة .. « إن الإسلام جديد .. ذُللت والله لهم البحار ، كما ذُلل لهم البر .. أما والذى نفس سلمان بيده .. ليخرجُنّ منه أفواجًا – أى من دجلة – كما دخلوه أفواجًا .. !! » .

ولقد كان .. وكما اقتحموا نهر دجلة أفواجًا ، خرجوا منه أفواجًا لم يخسروا جنديًا واحدًا ، بل لم تضع منهم شكيمة فَرَسْ .

ولقد سقط من أحد المقاتلين قدحه.. فعز عليه أن يكون هو الوحيد بين رفاقه الذى يضيع منه شىء ، فنادى فى أصحابه ليعاونوه على انتشاله ، ودفعته موجة عالية إلى حيث استطاع بعض العابرين التقاطه[1] . فلما رأى الفُرس ذلك خرجوا هاربين نحو حلوان وخرج يزدجر ومن معه بما قدروا عليه من الأموال والكنوز ، وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال بقيادة عمرو بن عاصم ، ثم كتيبة القعقاع بن عمرو وهى الخرساء .

ونزل سعد القصر الأبيض .. ولم يكن بالمدائن أعجب من عبور الماء ، وكان يُدعى يوم الجراثيم ، لا يبغى أحد إلا ظهرت له جرثومة من الأرض يستريح عليها، ما يبلغ الماء حزام

---

(١) رجال حول الرسول ١٢٢ .

فرسه . ولما دخل « سعد » الإيوان قرأ : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾. [الدخان : ٢٥ - ٢٨] .

وصلى سعدصلاة الفتح ثماني ركعات لا يفصل بينهن ولا تصلى جماعة، وأحرز المسلمون الغنائم العظيمة ، ومن ذلك : تاج كسرى وهو مكلل بالجواهر النقية التي تحير الأبصار ، ومنطقته وسيفه ، وسواره .. وقباؤه .. وبساط إيوانه .. وقد استوهب[1] سعد المسلمين أربعة أخماس البساط ، ولُبس كسرى من المسلمين وأرسله إلى أمير المؤمنين عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه ، فلما نظر عمر إلى ذلك قال : إن قومًا أدوا هذا لأمناء .. فقال علي : إنك عففت فعفوا .. ولو رتعت لرتعوا .. !!

● وداعًا بطل القادسية ●

(ويمتد العمر بسعد - رضي الله عنه - وتجيء الفتنة الكبرى ، فيعتز لها سعد .. بل ويأمر أهله وأولاده ألا ينقلوا إليه شيئًا من أخبارها .. ويذهب إليه ابن أخيه هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص ويقول له : ها هنا . مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر - يقصد الخلافة - فيجيبه سعد : أريد منها سيفًا واحدًا .. إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئًا ، وإذا ضربت الكافر قطعه .. !! وهكذا اعتزل سعد الفتنة حتى إنه ليقول : (إني مررت بريح مظلمة .. فقلت: أخ .. أخ .. وأنخت راحلتي حتى انجلت عني)[2] .

● وذات يوم من أيام العام الرابع والخمسين للهجرة ، وقد جاوز سعد سن الثمانين ، كان هناك بداره بالعقيق يتهيأ للقاء الله .

(يقول مصعب بن سعد : كان رأس أبي في حجري ، وهو يقضي ، فبكيت فرفع رأسه إليّ ، فقال : أي بني ما يبكيك ؟ قلت : لمكانك وما أرى بك . فقال : لا تبك فإن الله لايعذبني أبدًا .. وإني من أهل الجنة .. !!) .

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الفاروق عمر، د/ يسرى هاني ٣٩٥ .
(٢) رجال حول الرسول ١٢٤ .

قال ابنه عامر : (كان آخر المهاجرين موتًا .. ولما حضرته الوفاة أراد أن يلقى الله وهو يحمل أروع تذكار جمعه بدينه ووصله برسوله ، فدعا برداء قديم قد بلى فقال : كفنونى فيه .. فإنى لقيت المشركين فيه يوم بدر ، وهو علىّ ، وإنما كنت أخبئه لهذا اليوم)[1] .

● ولما مات سعد وجيء سريره وأدخل على أم سلمة جعلت تبكى وتقول : بقية أصحاب رسول الله ، وحمل على أعناق الرجال فصلى عليه مروان وأزواج النبى ﷺ .

وداعًا بطل القادسية .. وفاتح المدائن .. ومطفىء النار المعبودة فى فارس إلى الأبد[2] .

☆○□○☆

(١) رجال حول الرسول ١٢٥ .

(٢) نفسه .

(٩)

سعيد بن زيد

رضي الله عنه

● اسمه ونسبه ●

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى .. نسبة إلى بنى عدى بن كعب وهو ابن عم عمر بن الخطاب ، يجتمعان فى نفيل .

كان زيد صهر عمر زوج أخته فاطمة بنت الخطاب ، وكانت أخته عاتكة بنت زيد تحت عمر ابن الخطاب ، تزوجها بعد أن قُتل عنها عبد الله بن أبى بكر الصديق ، كان سعيد يكنى أبا الأعور ، وقيل أبو ثور والأول أكثر(١) .

أمه : فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد بن مليح من خزاعة .

أبوه : زيد بن عمرو بن نفيل ، كان يطلب دين الحنيفية ، دين إبراهيم عليه السلام قبل أن يبعث النبى ﷺ وكان لا يذبح للأنصاب ، ولا يأكل الميتة والدم .

ومن خبره فى ذلك :

(أنه خرج فى الجاهلية يطلب الدين هو وورقة بن نوفل ، فلقيا اليهود ، فعرضت عليهم يهود يهوديتهم، فتهود ورقة ، ثم لقيا النصارى ، فعرضواعليهما دينهم ، فترك ورقة اليهودية وتنصّر ، وأبى زيد بن عمرو بن نفيل أن يأتى من ذلك شيئًا ، وقال : ما هذا إلا كدين قومنا ، تشركون ، ويشركون ، ولكنكم عندكم من الله ذكر ولا ذكر عندهم . قال له راهب : إنك تطلب دينًا ما هو على الأرض اليوم .

فقال زيد : وما هو ... ؟ قال : دين إبراهيم .. قال :وما كان دين إبراهيم ؟

قال الراهب : كان يعبد الله لا يشرك به شيئًا .. ويصلى إلى الكعبة .. فكان زيد على ذلك حتى مات)(٢) .

وكان زيد بن عمرو .. يبكى ويقول : وعزتك لو أعلم الوجه الذى تعبد به لعبدتك به ، وقيل : نزل فيه وفى سلمان وأبى ذر ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ** ﴾ [الزمر : ١٧] .

---

(١) أسد الغابة ٢/ ٢٣٦ .

(٢) الاستيعاب على هامش الاصابة ٤/ ١٨٩ .

وكان زيد والد سعيد يقول : يا معشر قريش ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيرى ، وكان يُحى الموؤدة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته مهلاً لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها فإذا ترعرت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها[1] .

(.. وكان زيد بن عمرو هائم مع أشواقه المؤمنة ، ينطلق فى بطاح مكة تارة ولائذ بالكعبة تارة .. ومناجٍ ربه دومًا .. لبيك حقًا حقًا .. تعبدًا ورقًا .. !)[2] .

وكان يقول :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت — لـه الأرض تحمل صخراً ثقالاً
دحاها، فلما رآها استوت — على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت — لـه المزن تحمل عذبًا زلالاً
إذا هى سيقت إلى بلدةٍ — أطاعتْ فصبت عليها سجالاً
وأسلمت وجهى لمن أسلمت — لـه الريح تصرف حالاً فحالاً[3]

(وكان يتلفت يمينًا ، ويتلفت يسارًا ، فلا يجد نفسه إلا فى بيداء مظلمة ، وفى ضلال محيط ، ويثور شعوره الدينى ، فينشد ، وكأنه يصرخ أو يستغيث)[4] :

أربٌ واحدٌ أم ألف ربُ — أدينُ إذا تقسمت الأمور
عزلْت اللات والعزى جميعًا — كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا بنتيها — ولا صنمى بنى عمرو أزور
عجبت وفى الليالى مُعجباتٌ — وفى الأيام يعرفها البصير
فإن الله قد أفنى رجالاً — كثيرًا كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين من قوم — فيربل منهم الطفل الصغير
ولكن أعبد الرحمن ربى — ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها — متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهم جنان — وللكفار حامية سعير
وخزى فى الحياة وإن يموتوا — يلاقوا ما تضيق به الصدور(٥)

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٩١ . (٢) خلفاء الرسول ٣٣ . (٣) البداية والنهاية ٦/ ٢٤٢ .
(٤) خلفاء الرسول ٣٤ . (٥) البداية والنهاية ٢/ ٢٤٢ .

وهكذا كان زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد .. مؤمنًا بالفطرة قبل بعثة النبى ﷺ ، ولكنه مات قبل أن تكتحل عيناه برؤية النبى محمد ﷺ .. وفيما كان زيد يلفظ أنفاسه الأخيرة رفع بصره إلى السماء وقال : اللهم إن كنت حرمتنى من هذا الخير فلا تحرم منه ابنى «سعيدًا»[1] ، ولقد استغفر له الرسول ﷺ وقال فى حقه : (إنه يبعث أمة وحده)[2].

● إسلام سعيد بن زيد ●

لقد دعا زيد بن عمرو قبل أن يلفظ أنفاسه قائلاً : « اللهم إن كنت حرمتنى من هذا الخير فلا تحرم منه ابنى سعيدًا » .

وشاء الله أن يستجيب دعوة زيد .. فما إن قام رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام، حتى كان سعيد بن زيد فى طليعة من آمنوا بالله وصدقوا رسالة نبيه.

فقد أسلم سعيد قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم ، وأسلم قبل عمر وأسلمت معه امرأته فاطمة بنت الخطاب .. عن إسماعيل بن قيس قال : (سمعت سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل فى مسجد الكوفة يقول : والله لقد رأيتنى وإن عمر لموثقى على الإسلام قبل أن يسلم ، ولو أن أحدًا أرفض للذى صنعتم بعثمان لكان محقوقًا أن يرفض)[3] .

ولقى سعيد من أذى قومه ما كان خليقًا أن يفتنه عن دينه.. لقد أوثقه عمر بسبب إسلامه وأهانه كى يرجع عن الإسلام .. والسبب أن عمر تناوله بالتعذيب أنه كان زوج فاطمة بنت الخطاب أخت عمر .

● من مناقبه ●

كان – رضى الله عنه – من السابقين فى الإسلام والهجرة ، وشهد المشاهد كلها ، إلا بدرًا . إذ كان النبى ﷺ بعثه هو وطلحة بن عبيد الله يتحسسان الأخبار فى طريق الشام فقدما يوم وقعة بدر .. فأثبت لهم النبى سهمهما وأجرهما ، فلذلك عُدا فى البدريين ، شهد له النبى ﷺ بالجنة ، والشهادة فى حديث العشرة ، وفى حديث تحرك حراء ، وكان مجاب الدعوة .

---

(١) صورة من حياة الصحابة ٢٣٢ .

(٢) أحمد فى المسند ٣/ ١٦٤٨ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح . (٣) البخارى ٣٨٦٢ .

● وكان- رضى الله عنه - موصوفًا بالزهد ، محترمًا عند الولاة ، ولما فتح أبو عبيدة ابن الجراح دمشق ولاه إياها ، ثم نهض معه للجهاد .. وكان مقام أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وطلحة بن عبيد الله ، و الزبير بن العوام ، وعبد الرحمٰن بن عوف عند رسول الله واحدًا وكانوا أمامه فى القتال وخلفه فى الصلاة .

● يوم اليرموك فى ذاكرة سعيد ●

(لقد وضع سعيد بن زيد طاقاته كلها فى خدمة الإسلام.. حيث أسهم مع المسلمين فى استلال عرش كسرى وتقويض مُلك قيصر .. وكانت له فى كل موقعة خاض غمارها المسلمون مواقف مشهورة .. وأياد محمودة .

ولعل أروع بطولاته ، تلك التى سجلها يوم اليرموك ، وها هو يقص علينا طرفًا من خبر ذلك اليوم .. قال : كنا أربعًا وعشرين ألفًا ، أو نحو من ذلك ، فخرجت لنا الروم بعشرين ومائة ألف ، وأقبلوا علينا بخطى ثقيلة كأنها الجبال تحركها أيدٍ خفية وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسيسون ، يحملون الصلبان وهم يجهرون بالصلوات فيرددها الجيش من ورائهم وله هزيم كهزيم الرعد .. !!

فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه ، هالتهم كثرتهم ، وخالط قلوبهم شىء من الخوف ، عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحض المسلمين على القتال فقال :

« عباد الله اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر.. ومرضاة للرب ومدحضة للعار ، أشرعوا الرماح ، واستتروا بالتروس ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل فى أنفسكم ، حتى آمركم إن شاء الله » .

قال سعيد : عند ذلك خرج رجل من صفوف المسلمين وقال لأبى عبيدة : إنى أزمعت على أن أقضى أمرى الساعة .. فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ. !!

فقال أبو عبيدة : نعم ..تقرأه السلام منى ومن المسلمين ، وتقول له: يا رسول الله إنَّا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا !! فقال سعيد : فما إن سمعت كلامه ، ورأيته يمتشق حسامه ، ويمضى إلى لقاء أعداء الله ، حتى اقتحمت إلى الأرض ، وجثوت على ركبتى ، وأشرعت

رمحى وطعنت أول فارس أقبل علينا ، ثم وثبت على العدو وقد انتزع الله كل ما فى قلبى من الخوف .. فثار الناس فى وجوه الروم .. وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر)[1] .

● زهده ●

أرسل عمر - رضى الله عنه - إلى أبى عبيدة يقول له: أخبرنى عن حال الناس ، وأخبرنى عن خالد بن الوليد .. أىُّ رجلٍ هو ؟ وأخبرنى عن يزيد بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، وأخبرنى عن سعيد بن زيد ومعاذ بن جبل كيف حالهما ؟ .

فكتب أبو عبيدة إلى عمر - رضى الله عنه - عن حال أصحابه ، وكان مماقاله عن سعيد ومعاذ : « كما عهدت إلا أن السواد زادهما فى الدنيا زهدًا وفى الآخرة رغبة »[2] .

ولقد تولى سعيد بن زيد ولاية دمشق .. ولكنه وجد أن ذلك شغله عن الجهاد فى سبيل الله ، فكتب إلى أبى عبيدة قائلاً : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، من سعيد بن زيد إلى أبى عبيدة ابن الجراح .. سلام عليك ، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إلٰه إلا هو .

أما بعد :

فإنى ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسى وعلى ما يُدْنِينى من مرضاة ربى ، فإذا أتاك كتابى هذا فابعث إلى عملك من هو أرغب إليه منى ، فإنى قادم عليك وشيكًا إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك .

سعيد بن زيد

● رجل مجاب الدعوة ●

كان - رضى الله عنه - مجاب الدعوة ..ففى زمن بنى أمية وقعت له حادثة تثبت أنه مجاب الدعوة .. وخبر ذلك : (جاءت أروى بنت أويس إلى محمد بن عمرو بن حزم فقالت : يا أبا عبد الملك إن سعيد بن زيد قد بنى فى حقى ، فأته فكلمه أن ينزع من حقى .. فوالله إن

(١) صور من حياة الصحابة بتصرف يسير ٢٣٣ .

(٢) الرياض النضرة للمحب الطبرى ٧٩٦ .

لم يفعل لأصيحنَّ به فى مسجد رسول الله ، فقال لها : لا تؤذى صاحب رسول الله وما كان ليظلمك.. ما كان ليأخذ لكِ حقًا . فخرجت فجاءت عمارة بن عمرو وعبد الله بن مسلمة فقالت لهما : أتيا سعيد بن زيد فإنه ظلمنى وبنى فى حقى ، فوالله إن لم ينزع لأصيحنَّ به فى مسجد رسول الله . فخرجا حتى أتياه فى أرضه بالعقيق .. فقال لهما : ما أتى بكما.. ؟ قالا : جاءتنا أروى بنت أويس فزعمت أنك بنيت فى حقها ، وحلفت بالله لئن لم ينزع لأصيحن به فى مسجد رسول الله فأحببنا أن نأتيك ونذكرك !! فقال : كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله يقول : (من أخذ شبرًا من الأرض بغير حق طوق يوم القيامة من سبع أرضين)[١] . لتأتين فلتأخذ مالها من حق .. اللهم إن كانت كذبت علىّ فلا تمتها حتى تعمى بصرها .. وتجعل منيتها فيها .. ارجعوا فأخبروها ذلك .. فجاءت فهدمت مابناه وبنت بنيانًا فلم يلبث إلا قليلاً حتى عميت وكانت تقوم من الليل ومعها جارية لها تقودها لتوقظ العمال . فقامت ليلة وتركت الجارية لم توقظها فخرجت تمشى حتى سقطت فى البئر فأصبحت ميتة)[٢] .

●وفاته●

توفى – رضى الله عنه – سنة خمسين أو إحدى وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة . وخرج إليه عبد الله بن عمر فغسّله وحنّطه ، وصلى عليه .. ونزل فى قبره سعد وابن عمر – رضى الله عنهما– ودفن بالعقيق من نواحى المدينة[٣] .

☆○□○☆

(١) مسلم ١٦١٠ .

(٢) تاريخ دمشق ٢١/ ٨٧.

(٣) أسد الغابة ٦/ ١٣٧ .

(١٠)

أبو عبيدة بن الجراح



• اسمه ونسبه •

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهيبْ بن ضبّة بن الحارث بن فهر ابن مالك أبو عبيدة .. اشتهر بكنيته ونسبه إلى جده فيقال : أبو عبيدة بن الجراح[1] لقبه رسول الله ﷺ بأمين هذه الأمة .

يجتمع مع النبى ﷺ فى فهر بن مالك[2] .

أمه : أميمة بنت بن جابر ، ويقال : أم غنم أميمة بنت جابر القرشية الفهرية ، أدركت الإسلام وأسلمت .. وأم أبى عبيدة هى من بنات عم أبيه[3] .

• صفته •

كان - رضى الله عنه - وضئ الوجه ، بهى الطلعة ، نحيل الجسم ، طويل القامة ، خفيف العارضين ، ترتاح العين لمرآه ، وتأنس النفس للقياه ، ويطمئن إليه الفؤاد . وكان إلى جانب ذلك رقيق الحاشية ، جم التواضع ، شديد الحياء وكان أثرم الثنيتين - أى مكسور الأسنان الأمامية - فقد كسرت أسنانه يوم أُحد ، فما رُئى أهتم كان أحسن من أبى عبيدة .

وصفه عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - فقال : (ثلاثة من قريش أحسن قريشًا أخلاقًا وأصبحها وجوهًا ، وأشدها حياءً إن حدثوك لم يَكذبوك ، وإن حدثتهم لم يُكذِبوك : أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح[4].

• إسلامه •

كان أبو عبيدة - رضى الله عنه - من السابقين الأولين إلى الإسلام ..فقد أسلم فى اليوم التالى لإسلام أبى بكر .. « فلقد انطلق عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث ، وعبد الرحمٰن

(١) أسد الغابة ٣/ ٢٤ ترجمة رقم ٢٧٠٤ .

(٢) الحافظ فى الفتح ٧/ ١٧ .

(٣) ابن حجر الفتح ٧/ ١٧ ، وتهذيب الكمال ١٧/ ٥٣ ترجمة رقم ٣٠٤٨

(٤) تاريخ دمشق ٢٥/ ٤٥٧ ، صفة الصفوة ١/ ١٩٢ ، صور من حياة الصحابة ٩٠.

ابن عوف ، وأبـو سلمة بن عبـد الأسد وأبو عبيـدة بن الجراح حتى أتوا رسـول الله ﷺ فعرض عليهم الإسـلام ، وأنبأهم بشرائعه ، فأسلمـوا فى سـاعة واحـدة ، وذلك قبل دخولـه ﷺ دار الأرقم ، وقبل أن يدعوا فيها »[1] ، وهكذا كان أبوعبيدة فى طليعة السابقين إلى الدين الجديد .

● من مناقبـه ●

« ومنهم - أى من العشرة - الأمين الرشيـد ، والعامل الزهيـد ، أمين الأمـة أبـو عبيـدة ابن الجراح ، وكان للأجانبِ من المؤمنين وديدًا وعلى الأقارب من المشركين شديدًا .. صبر على الانتصار على القليل إلى أن حان منه النقلة والرحيل » .

● أسلم - رضى الله عنه - قديمًا ، ويقـال إنه من مهاجرى الحبشة ، شـــهد بدرًا وهو ابن إحدى وأربعين سنة وقَتَل أبوه[3] يومئذ كافرًا ، ونـزل فيه وفى أمثاله ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾

[المجادلة : ٢٢] .

وشهد مـا بعد بدر من المشـاهد ، وكان ممن ثبت يوم أحـد وانتزع يومئـذ من جبهة النبى ﷺ حلقتى المغفر[4] .

● سماه رسول الله ﷺ أمين الأمـة[5] (فقدجـاء أهل نجران وسألـوا النبى ﷺ أن يبعث معهم أمينه فقال رسـول الله ﷺ : أئتونى العشية أبعث معكم القـوى الأمين ، فقال عمر : فما

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٨ ، تاريخ دمشق ٢٢٥/ ٤٤٤ .

(٢) ١/ ١٠١ .

(٣) سوف نذكر ذلك قريبًا .

(٤) سوف نذكر ذلك قريبًا تحت عنوان : مواقف خالدة ..!

(٥) جزء من حديث أخرجه البخارى فى الصحيح برقم ٣٧٤٤ .

أحببت الأمارة إلا يومئذ ، فرحت مُهجِرًا حتى صليت خلف رسول الله ﷺ فى أول الصفوف ، فأرجو أن يدعونى بها ، فلم سلم جعل يرمى بطرفه يمينًا وشمالاً ، وجعلت أتطاول ليرانى ، حتى رأى أبا عبيد فى بعض الصف فقال : يا أباعبيدة أخرج مع هؤلاء أقض بينهم بالحق ، فخرج معهم . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة بن الجراح)[1] .

● ومن مناقبه أنه – رضى الله عنه – كان من أحب أصحاب النبى إلى النبى ﷺ . فعن عبد الله بن شقيق قال : (قلت لعائشة : أى أصحاب رسول الله كان أحب إلى رسول الله ؟ قالت : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قالت : عمر ، قلت : ثم من؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح . قلت : ثم من ؟ قال : فسكتت)[2] .

● وعن زيد بن أسلم عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: (تمنوا ، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها فى سبيل الله، فقال : تمنوا . فقال آخر : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبًا فأنفقه فى سبيل الله ، فقال عمر : تمنوا ، فقال الآخر : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهرًا فأنفقه فى سبيل الله . فقال عمر : تمنوا ، قالوا: ما تمنينا بعد هذا ! قال عمر : ولكنى أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان استعملهم فى طاعة الله)[3] .

● زهده ●

لقد كان – رضى الله عنه – زاهدًا فى الدنيا فلم تغيره الدنيا .. حتى وهو أمير للجيوش !

« قدم أمير المؤمنين عمر الشام فتلقاه عظماء الناس وأمراء الأجناد ، فما اهتم بغير السؤال عن أخيه.. أبى عبيدة بن الجراح قائلاً لمن حوله بلهفة وحنان : أين أخى ؟ وسأله الناس متعجبين : من تعنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبو عبيدة ! ومن غيره ؟ قالوا : يأتيك الآن.

(١) تاريخ دمشق ٢٥/ ٤٦٣ .

(٢) البخارى ٢٦٦٢ ، الترمذى ٣٦٥٧ واللفظ له.

(٣) البخارى فى التاريخ الصغير ١/ ٥٤ .

وقدم أبوعبيدة للسلام على الخليفة ، وقد جاء راكبًا ناقة مخطومة بحبل كما يفعل أى رجل بدوى فقير ! وبعد السلام طلب عمر من أمير الجيوش أن يصحبه ليزوره فى منزله !فقال أبو عبيدة : وماذا تصنع عندى ؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علىّ ، ودخل أمير المؤمنين منزل ابن الجراح فلم يرى شيئًا ،فسأله : أين متاعك ؟ وتلفت أبو عبيدة بدوره ، فلم يشاهد عنده متاعًا مما غلا أو رخص إلا لبدة الصلاة ، وفراشًا مهترئًا للنوم .. وزاد عمر وصحفة وقربة قديمة .. وأنت أميراً للجيوش .. !! وقدّم أبو عبيدة ماعنده من طعام .. كسيرات من الخبز اليابس لم يكن عنده غيرها ! وبكى عمر.. عصر عينيه حقًا على أخيه.. وبعد أن كفكف دمعه، وابتلع كسيرات الخبز ، قال وهو بالغ التأثر : غيرتنا الدنيا كلنا .. غيرك يا أبا عبيدة !!)[1] .

● وعن قتادة ، أن أبا عبيدة بن الجراح قال : (ما من الناس من أحمر أو أسود حر ولا عبد ، عجمى ولا فصيح ، أعلم أنه أفضل منى بتقوى إلا أحببت أن أكون فى مسلاخه)[2] - أى فى هيئته .

● تواضعه ●

لقد كان - رضى الله عنه - رقيق الحاشية ، جم التواضع.. ومن ذلك : (كان عمرو ابن العاص قائدًا فى غزوة ذات السلاسل ، وقد شعر القائد بحاجته إلى مدد ، فأرسل إليه النبى ﷺ جماعة من المهاجرين والأنصار وأمّر عليهم أبا عبيدة ، فلما قدموا على عمرو بن العاص قال : أنا أميركم، فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأميرنا أبو عبيدة . فقال عمرو : إنما أنتم مدد أمددت بكم .. وطال الجدل .. فعمرو بن العاص يُصر على أنهم جاءوا مددًا ، فهو إذن أمير جنده ، وأمير هؤلاء الذين انضموا إليهم ، وهنا ظهرت عبقرية ابن الجراح فى تواضعه ورحابة صدره ، وحُسن سياسته ، فقال لعمرو : (تعلم ياعمرو إن آخر ماعهد إلىّ به رسول الله ﷺ أن قال : إذا قدمت على صاحبك .. فتطاوعا .. وأنت إن عصيتنى أطعتك)[3] .

---

(١) مآثر الصحابة ٢٣٢ وما بعدها.

(٢) أحمد فى الزهد ٢٣٠.

(٣) انظر تفصيل ذلك فى فتح البارى ٧/ ٦٧٤ ، وانظر هذه الفقرة بتمامها فى مآثر الصحابة ٢٣٧ .

هذا الكلام النبيل ، اللين ، الحكيم ، الدال على رحابة صدره ، ومرونة تفكيره وحُسن تدبيره .. فضلاً عن كل ما اتصف به هذا الرجل العظيم، هذاالكلام كان كافيًا لحسم النزاع ، ودرء الفتنة والانقسام ، أمام عدو مشترك جاءوا جميعهم لكفاحه)[١] .

ويدل على تواضعه أيضًا ما رواه أبو حذيفة فى فتوح الشام : (إن الروم بعثوا إلى أبى عبيدة أنّا نريد أن نبعث إليك رجلاً منا يعرض عليك الصلح ، ويدعوك إلى النصف ، فإن قبلت منه فلعل ذلك يكون خيرًا لك ولنا ، وإن أبيت فما نراه إلا شر لك ، فقال لهم: ابعثوا من شئتم . فبعثوا رجلاً ، فجاء فلما دنا من المسلمين لم يعرف أبا عبيدة من القوم ، ولم يدر أهو فيهم أم لا ، ولم يرهبه مكان أمير من الأمراء ، فقال : يا معشر العرب أين أميركم؟ فقالوا له : ها هو ذا . فنظر فإذا بأبى عبيدة جالسًا عليه الدرع وهو ممسك الفرس ، وبيده أسهم يقلبها وهو جالس على الأرض . فقال له : أنت أمير هؤلاء ؟ قال : نعم ، قال : ما يجلسك على الأرض ؟ أرأيت إن كنت جالسًا على وسادة أو كان تحتك بساط أكان ذلك واضعك عند الله ؟ أو هل يبعدك من الإحسان ؟ قال أبوعبيدة : إن الله لا يستحى من الحق ، لأصدقنك ، ما أصبحت أملك إلا سيفى وفرسى وسلاحى ، ولقد احتجت أمس إلى نفقة فاقترضت من أخى هذا شيئًا - يعنى معاذ بن جبل - وكان عنده شيء فاقترضت ، ولو كان عندى بساط أو وسادة ما كنت لأجلس عليه وأُجلس أخى المسلم الذى لا أدرى لعله خير منى منزلة عند الله عز وجل على الأرض . ونحن عباد الله نمشى على الأرض، ونجلس عليها ونأكل عليها ، ونضطجع عليها وليس ذلك بناقصنا عند الله شيئًا ، بل تعظم به أجورنا وترفع درجاتنا .. فهلم حاجتك التى جئت إليها)[٢] .

● من مواقفه الخالدة ●

لقد كان لابن الجراح .. مواقف خالدة مشهودة .. سجلها التاريخ بحروف من نور .. ونحن بدورنا نختار من هذه المواقف موقفين اثنين .

(١) مآثر الصحابة ٢٣٨ .

(٢) الرياض النضرة فى مناقب العشرة ٨٠٨ .

١ - يوم بدر :

(انطلق أبـو عبيـدة يـوم بـدر يصـول بين الصفوف صـولـة من لا يهاب الـردى فهـابـه المشركون، ويجول جـولة مـن لا يحذر الموت ، فحذره فرسـان قريـش وجعلوا يتنحـون عنه كلما واجهوه .. لكنَّ رجلاً واحدً منهم جعل يبرز لأبى عبيدة فى كل اتجاه ، فكان أبو عبيدة ينحرف عن طريقـه ويتحـاشى لقـاءه .. إلا أنه تمادى ولـجّ فى الهجوم.. وأكثر أبـو عبيدة من التنحى عنه .. وكان الجراح يقصد أن يصل إلى ابنه المدافع عن رسول الله ﷺ ، وعن الحق الذى يمثله ، لكى يصل عبره إلى الرسول نفسه فيقتله أيضًا .. وماذا كان بإمكان أبو عبيدة.. ؟

أيترك أباه المشرك يقتله ليصل إلى رسول الله ﷺ ، ويقضى على حياة أعظم إنسان ؟

فكَّر أبو عبيدة فى لحظات ، فيما سيصيب الأمة لو حقق ذلك المجرم المشرك غايته . وفكَّر فيما يجب عليه نحـو أبيه .. ثم قارن بين جـريمة هذا المشرك الـذى أوشك أن يقترفها .. وبين جريمته هـو ، لو أقدم على قتل أبيه .. فـرجحت عنده الفكرة الثانيـة ، واختار أهون الشرين ، وقلبـه يعصره الألم ، فقتل أباه الجراح .. مضحيًـا بكل شىء فى سبيل رسـول الله ﷺ وفى سبيل الإسلام !!)[1] ونزل فيه قـوله تعالى : ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ . [المجادلة : ٢٢] .

● يقول ابن الجوزى فى تفسيره: « زاد المسير »[2] عند تفسيره لهذه الآية : (هذه الآية قد بينت أن مودة الكفار تقدح فى صحة الإيمان..وأن من كان مـؤمنًا لم يوال كافرًا وإن كان أباه أو ابنه أو أحدعشيرته) ا.هـ .

● ويقول الإمام ابن عطيـة فى تفسيره (المحرر الوجيز)[3] : (نفت هذه الآية أن يوجد

(١) صور من حياة الصحابة ٩٤ .
(٢) ٧/ ٣٢٩ .
(٣) ٥/ ٣٨٢ .

من يؤمن بالله تعالى حق الإيمان .. ويلتزم شعبه على الكمال يواد كافرًا أومنافقًا .. ومعنى يواد يكون بينهما من اللطف بحيث يود كل واحد منهما صاحبه .. وعلى هذا التأويل قال بعض الصحابة : اللهم لا تجعل لمشرك قِبلى يدًا فتكون سببًا للمودة فإنك تقول وتلا هذه الآية ﴿ لا تجد قومًا .... ﴾ . [الآية] .

ويقول صاحب الظلال[1] - رحمه الله - : (.. وفى هذه الآية تجيء القاعدة الثابتة التى يقف عليها المؤمنون ، أو الميزان الدقيق فى النفوس ، لا تجد قومًا يؤمنون بالله .. إنها الفاصلة الكاملة بين حزبين: حزب الله وحزب الشيطان والانحياز النهائى للصف المتميز ..والتجرد من كل عائق وجاذب ، والارتباط فى العروة الوثقى الواحدة بالحبل الواحد : لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله .. فما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه .. وما يجمع إنسان فى قلب واحد ودين ودًا لله ورسوله وودًا لأعداء الله ورسوله ! فإما إيمان أو لا إيمان .. أما هما فلا يجتمعان .. ولو كانوا أبائهم .. فروابط الدم والقرابة هذه تنقطع عند حد الإيمان .. إنها يمكن أن تُرعى إذا لم تكن هناك محادة أو خصومة بين اللوائين : لواء الله ولواء الشيطان ..والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا يكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان .. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة ، فقد تقطعت تلك الأواصر التى لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد .. ولقد قتل أبو عبيدة أباه فى يوم بدر . وهمّ الصديق بقتل ولده عبد الرحمٰن .. وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير وقتل حمزة وعبيدة بن الحارث أقرباءهم من المشركين متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة ..وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم فى ميزان الله) ا.هـ .

٢ - يوم أُحد :

« وفى غزوة أحد حين خلُص المشركون إلى رسول الله ﷺ حين أُفرد فى فترة اضطراب المعركة. عقب تخلى الرماة عن أماكنهم وإحاطة الكفار بالمسلمين والصيحة بأن محمدًا قد قتل،

(١) ٦/ ٣٥١٥ .

وما صنعته فى صفوف المسلمين وعزائمهم .. وفى هذه الغمرة التى يطيش فيها الحليم .. رُمى النبى بسهم فى وجنته الشريفة حتى غابت حلقة من حلق المغفر فى وجنته الشريفة ، وكان هناك أبو عبيدة فرأى الدم الذكى يسيل على وجهه ﷺ والرسول يمسح الدم بيمينه وهو يقول: (كيف يفلح قوم خضَّبوا وجه نبيهم ، وهويدعوهم إلى ربهم)[1] .. يقول أبو بكر : فذهبت لأنزعها عن النبى ﷺ - حلقة المغفر - فقال أبو عبيدة : نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتنى ! فأخذ أبوعبيدة السهم بفيه فجعل ينضنضه كراهية أن يؤذى رسول الله ثم استل السهم بفيه ، فندرت ثنيته - أى سقطت - ثم ذهب أبو بكر لينزع الأخرى ، فقال أبو عبيدة : نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتنى ! فأخذه فجعل ينضنضه حتى استله فندرت ثنية أبى عبيدة الأخرى .. فكان أبوعبيدة فى الناس أثرم !!

ولقد قال أبو بكر : فكان أبو عبيد من أحسن الناس هتماً ..!!

● طاعون عمواس ووفاة أبى عبيدة ●

حقًا ما بعد الكمال إلا النقص .. !! (كان أبو عبيدة بن الجراح فى بلاد الشام يقود جيوش المسلمين من نصر إلى نصر حتى فتح الله على يديه الديار الشامية كلها .. فبلغ الفرات شرقًا وآسيا الصغرى شمالاً ،عند ذلك وفى العام السابع عشر من الهجرة دهم بلاد الشام طاعون ماعرف الناس مثله قط ، فجعل يحصد الناس حصدًا[2] .. فما كان من عمر إلا أن وجه رسولاً إلى أبى عبيدة برسالة يقول فيها : (إنى قد عرضت لى إليك حاجة لا غنى لى عنك فيها ، فإن أتاك كتابى ليلاً فإنى أعزم عليك ألا تصبح حتى تركب إلىّ ، وإن أتاك نهاراً فإنى أعزم عليك ألا تمسى حتى تركب إلىّ) ، فلما قرأ أبو عبيدة الرسالة قال : لقد علمت حاجة أمير المؤمنين إلىّ ، فهو يريد أن يستبقى من ليس بباق ، ثم كتب إليه يقول : (يا أمير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلىّ ، وإنى فى جندٍ من المسلمين ولا أرغب بنفسى عنهم .. ولا أريد

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم والترمذى بألفاظ متقاربة كلهم عن أنس وأحمد فى المسند برقم ١١٨٩٥ .
(٢) صور من حياة الصحابة ٩٢ .

فراقهم حتى يقضى الله فىّ وفيهم أمرًا .. فإذا أتاك كتابى هذا فحللنى من عزمك وإئذن لى بالبقاء) . فلما قرأ عمر الكتاب بكى حتى فاضت عيناه ، فقال له من عنده : أمات أبو عبيدة يا أميرالمؤمنين ؟ فقال : لا ، ولكنّ الموت منه قريب .. وما لبث أبو عبيدة أن أصيب بالطاعون !![1] ولما طُعن أبو عبيدة دعا من حضره من المسلمين فقال : (إنى موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير : أقيموا الصلاة .. وآتوا الزكاة .. وصوموا شهر رمضان .. وتصدقوا.. وحجوا .. واعتمروا وتواصوا وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم .. ولاتلهكم الدنيا.. فإنَّ امرءًا لو عمَّر ألف حول ماكان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون ، إن الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون .. وأكيسهم أطوعهم لربه..وأعلمهم ليوم معاده .. والسلام عليكم ورحمة الله . يامعاذ بن جبل صَلِّ بالناس .. ومات !! فقام معاذ بن جبل فى الناس فقال : « ياأيها الناس توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحًا ، فإن عبدًا لا يلقى الله تائبًا من ذنبه إلا كان حقًا على الله أن يغفر له.. ومن كان عليه دين فليقضه.. فإن العبد يرتهن بدينه .. ومن أصبح منكم مهاجرًا أخاه فليلقه فليصالحه .. ولا ينبغى لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .. والذنب العظيم إنكم أيها المسلمون قد فُجعتم برجل ما أزعم أنى رأيت عبدًا أبرّ صدرًا ، ولا أبعد من الغائلة ولا أشد حبًا ولا أصبح للعامة منه .. فترحموا عليه – رحمه الله– واحضروا الصلاة عليه)[2] .

● ولقد كانت وفاة أبى عبيدة وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة بالأردن ، وقُبِر ببيسان ، وصلى عليه معاذ بن جبل وذلك فى سنة ثمانى عشرة من خلافة عمر .

هذا والله أعلى وأعلم ،،،

☆○□○☆

(١) صور من حياة الصحابة ٩٣ .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥/ ٤٨٧ .

وأختتم الكتاب بقول ابن الجوزى رحمه الله :

" اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك ،
ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك ،
ولا قدماً تمشى فى خدمتك ،
ولا يداً تكتب حديث رسولك ..
فبعزتك لا تدخلنى النار فقد علم أهلها أنى كنت أذب عن دينك . اللهم بلغنى آمالى من العلم والعمل وأطل عمرى لأبلغ ما أحب من ذلك " .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

محمد محمد صالح عوض

الإجازة العالية فى الحديث الشريف وعلومه
جامعة الأزهر الشريف
مصر - المنصورة - طلخا - بساط
ص.ب : ٣٥٧٩٤

المراجع والمصادر

م	المرجع	المؤلف	الطبعة
١	القرآن الكريم		
٢	المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز	للقاضى أبى محمد عبد الحق ابن عطية ، ت ٥٤٦هـ	دار الكتب العلمية بيروت
٣	زاد المسير فى علم التفسير	للإمام أبى الفرج بن الجوزى، ت ٥٩٧هـ	دار الفكر
٤	فى ظلال القرآن	للشهيد سيد قطب	دار الشروق
٥	فتح البارى بشرح صحيح البخارى	للحافظ بن حجر العسقلانى، ت ٨٥٢	الريان
٦	صحيح الإمام مسلم	للإمام مسلم بن الحجاج ، ت ٢٩١ هـ	دار إحياء الكتب العربية
٧	الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذى	للإمام عيسى محمد بن سورة ت ٢٢٩هـ . تحقيق الشيخ أحمد شاكر	دار الحديث
٨	السنن الكبرى للإمام النسائى	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى ، ت ٣٠٣هـ	دار الكتب العلمية
٩	مسند الإمام أحمد	للإمام أحمد بن حنبل الشيبانى، ت ٢٤١هـ	مكتبة التراث الإسلامى
١٠	صحيح ابن حبان	للأمير علاء الدين بن بلبان ، ت٧٣٩هـ	مؤسسة الرسالة
١١	المستدرك على الصحيحين	للحافظ أبى عبد الله الحاكم النيسابورى ، ت ٤٠٥هـ .	دار المعرفة
١٢	المعجم الكبير للطبرانى	للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، ت ٣٦٠هـ تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى	دار إحياء التراث العربى
١٣	سنن ابن ماجه	للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزوينى ،ت ٢٧٥هـ	

م	المرجع	المؤلف	الطبعة
١٤	سلسلة الأحاديث الصحيحة	للشيخ ناصر الدين الألبانى	المكتب الإسلامى
١٥	صحيح سنن الترمذى	للشيخ ناصر الدين الألبانى	مكتب التربية العربى
١٦	الطبقات الكبرى	لمحمد بن سعد ، ت ٢٣٠هـ	
١٧	الكامل فى التاريخ	لابن الأثيرر الجزرى ، ت ٦٣٠هـ	دار الكتب العربية
١٨	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	للحافظ أبى نعيم الأصفهانى، ت ٤٢٠هـ	مطبعة السعادة
١٩	صفة الصفوة	للإمام أبى الفرج بن الجوزى، ت ٥٩٧هـ	دار الكتب العلمية
٢٠	السيرة الحلبية	على بن برهان الدين الحلبى ، ت ١٠٤٤هـ	دار المعرفة بيروت
٢١	سير أعلام النبلاء	للإمام شمس الدين الذهبى، ت ٧٤٨هـ	بيروت
٢٢	السيرة النبوية	لابن هشام ، تحقيق سهيل ذكار	دار الفكر
٢٣	لسان العرب	جمال الدين بن منظور	دار الفكر
٢٤	مختار الصحاح	محمد أبى بكر عبد القادر الرازى	دار المنار
٢٥	مناقب عمر بن الخطاب	للإمام أبى الفرج بن الجوزى ت ٥٩٧هـ	دار العقيدة
٢٦	تهذيب الكمال فى أسماء الرجال	للحافظ جمال الدين أبو الحجاج المزى ، ت ٧٤٢هـ	مؤسسة الرسالة
٢٧	تاريخ دمشق	للإمام أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر	دار الفكر
٢٨	أسد الغابة فى معرفة الصحابة	لعز الدين بن الأثير ، ت ٦٣٠هـ	دار الفكر
٢٩	الاصابة فى تميز الصحابة.، بهامشه	للحافظ بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢هـ	مكتبة ابن تيمية
٣٠	الاستيعاب لابن عبد البر	بتحقيق دكتور/ طه محمد الزينى	

م	المرجع	المؤلف	الطبعة
٣١	الفتوح	للعلامة محمد بن أبى أحمد بن أعثم ، ت ٣١٤هـ	دار الكتب العلمية
٣٢	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	لأبى العباس شمس الدين بن خلكان ،ت ٦٨١هـ	دار الثقافة بيروت
٣٣	تاريخ الأمم والملوك	لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ت ٣١٠هـ	دار الكتب العلمية
٣٤	البداية والنهاية	للحافظ عمادالدين بن كثير الدمشقى ، ت ٧٧٤هـ	مكتبة المعارف بيروت
٣٥	تاريخ الخلفاء	للإمام جلال الدين السيوطى، ت ٩١١هـ	دار الجيل
٣٦	كتاب الزهد	الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ت ١٤١هـ	دار الريان
٣٧	الرياض النضرة فى مناقب العشرة	أبى جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى ، ت ٦٩٤هـ	المكتبة القيمة
٣٨	مجموع الفتاوى	شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ت ٧٢٨هـ	دار الرحمة
٣٩	الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة	للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى	مكتبة المعارف بيروت
٤٠	عصر الخلافة الراشدة ،محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين	دكتور/ أكرم ضياء العمرى	مكتبة العلوم والحكم ، الرياض
٤١	تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة	دكتور/ أحمد أمخزون	دار طيبة
٤٢	السنة ومنزلتها فى القرون الثلاثة الفاضلة	دكتور/ الأحمدى عبد الفتاح خليل	مكتبة كلية أصول الدين ، المنصورة
٤٣	تاريخ الدعوة إلى الله فى عهد الفاروق عمر	دكتور/ يسرى محمد هانى	دار اليقين
٤٤	حياة الصحابة	محمد بن يوسف الكاندهلوى تحقيق دكتور/ كمال على الجمل	مكتبة الإيمان
٤٥	المعجم المفهرس لألفاظ الحديث	لفيف من المستشرقين	دار الدعوة ، استانبول
٤٦	مفتاح كنوز السنة	نقله للعربية محمد فؤادعبد الباقى	دار الحديث

م	المرجع	المؤلف	الطبعة
٤٧	الرحيق المختوم	صفى الرحمن المباكفورى	مكتبة الإيمان
٤٨	خلفاء الرسول ﷺ	خالد محمد خالد	دار الفكر
٤٩	رجال حول الرسول ﷺ	خالد محمد خالد	دار الريان
٥٠	صور من حياة الصحابة	دكتور/ عبد الرحمن رأفت الباشا	دار النفائس
٥١	مآثر الصحابة	دكتور/ رشاد دار غوث	دار النفائس
٥٢	فصل الخطاب فى إسلام عمر الخطاب	محمد بن العلاوى، أبو حبيب المصرى	دار الكتاب العربى
٥٣	العشرة المبشرون بالجنة	عبد المنعم الهاشمى	دار الوفاء
٥٤	مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام	محمد عبد الله عنان	مكتبة الأسرة
٥٥	لن تلقى مثل عمر	لواء/ أحمد كمال الطوبجى	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٥٦	دلائل النبوة	أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، ت ٤٥٨هـ	
٥٧	علو الهمة	محمد أحمد إسماعيل المقدم	دار العقيدة
٥٨	واقعنا المعاصر	محمد قطب	مؤسسة المدينة
٥٩	العواصم من القواصم	الإمام أبو بكر بن العربى المالكى ، ت ٥٢٣هـ	مكتبة السنة
٦٠	عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام	دكتور/ سليمان بن حمد العودة	دار طيبة ،الرياض
٦١	السيرة النبوية الصحيحة ، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين فى نقد روايات السيرة	دكتور/ أكرم ضياء العمرى	مكتبة العلوم والحكم ، الرياض ط ٦/ ٩٤
٦٢	أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ	دكتور/ على إبراهيم شعوط	المكتب الإسلامى

الفهرس

☆○□○☆

كلما تقدمت الإنسانية فى مجالات الحضارة .. كلما أفرز هذا التقدم عللاً تجعل من هذا التقدم وبالاً على الإنسانية التى انطلقت بلا هدف أخلاقى ..!! الأمر الذى يفرض على كل باحث أن يعود إلى النبع الصافى .. إلى حيث خطت الدعوة خطوتها الأولى متمثلة فى رجال كانوا نماذج حية لم تكن بضاعتها كلاماً وإنما كان عملاً ترك بصماته على واقع الحياة ..!!

والقاعدة تقول : إذا ضلت القافلة الطريق فلكى تصل إلى الهدف لابد أن تعود إلى نفس النقطة التى بدأت منها مسيرة الخير ليتضح الهدف من جديد ..!!

وقد أراد الشاب المسلم الغيور الشيخ / محمد صالح عوض . أن يقوم بدوره فى العودة إلى هذا النبع الصافى متمثلاً فى هذه الجماعة من الصحابة المبشرين بالجنة ليرى المسلمون فى صورهم معانى الإسلام كما بلغها رسول الله ﷺ وقد وفق فى رسم الصورة التى لم يخطها بعقله فقط وإنما كان قلبه من وراء عقله . ! هذا القلب المحب الغيور والذى استطاع أن يصور هذه الصحبة المباركة لتكون رداً عملياً على أعداء الإسلام الذى استطاع أن يصوغ هذه النفوس على هذا المستوى وفى ظل أحلك الظروف لهو الدين القيم .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه الصفحات فى ميزان حسناته .

والله خير الشاهدين ..

أ.د. محمود محمد عمارة

الأستاذ بجامعة الأزهر